

Preaching in the Umayyad Era as Depicted in (Siyar Alam al-Nubala) by Al-Hafiz al-Dhahabi

الوعظ في العصر الأموي من خلال كتاب (سير أعلام النبلاء) للحافظ الذهبي

Muhammad Fahd al-Harbi

Associate Professor, Department of Da'wah and Islamic Culture, College of Da'wah and Fundamentals of Religion, Umm Al-Qura University, Makkah, Saudi Arabia

محمد فهد الحربي

أستاذ مشارك، قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية

Received:21/07/2025 Revised:09/03/2026 Accepted: 04/04/2026

تاريخ التقديم: 2025/07/21 تاريخ إرسال التعديلات: 2026/03/09 تاريخ القبول: 2026/04/04

الملخص:

يتناول هذا البحث الوعظ في العصر الأموي بوصفه أحد الأساليب المهمة في الدعوة إلى الله تعالى، ووسيلة مؤثرة في توجيه الأفراد والمجتمعات، وذلك من خلال دراسة ما ورد في كتاب «سير أعلام النبلاء» للإمام شمس الدين الذهبي من تراجم الوعاظ وأخبارهم وممارساتهم الوعظية. ويهدف البحث إلى التعرف على طبيعة الوعظ في العصر الأموي، والكشف عن المصطلحات التي استخدمها العلماء للدلالة عليه، وبيان الانتماءات الفكرية والمذهبية للوعاظ الذين وردت تراجمهم في الكتاب، إلى جانب إبراز تنوع مجالات الوعظ وموضوعاته خلال تلك الحقبة التاريخية. وقد اعتمد الباحث على المنهج التاريخي لتتبع ظاهرة الوعظ في سياقها الزمني، والمنهج الاستقرائي لجمع المادة العلمية المتعلقة بالوعاظ من تراجمهم وأخبارهم، والمنهج الوصفي لعرض تلك المادة وتصنيفها وبيان خصائصها. وتوصل البحث إلى عدد من النتائج، من أبرزها أن العلماء استخدموا مصطلحين للدلالة على ممارسة الوعظ؛ أولهما مصطلح الوعظ، وما يتصل به من ألفاظ مثل الواعظ ويعظ، وثانيهما مصطلح القصص، وما يرتبط به من أوصاف مثل القاص وكان يقص. كما أظهرت الدراسة أن غالبية الوعاظ المترجم لهم في كتاب الذهبي خلال العصر الأموي يندرجون ضمن أهل السنة، مع وجود وعاظ ينتسبون إلى اتجاهات وافرقت أخرى، منها المتصوفة والشيعة والمرجئة والقدريّة. وكشفت النتائج كذلك عن تنوع الوعظ في العصر الأموي من حيث موضوعاته ومجالاته، إذ شمل الوعظ الديني والاجتماعي والسياسي والقيمي والأخلاقي، مما يعكس تعدد القضايا التي تناولها الوعاظ في ذلك العصر.

الكلمات المفتاحية: العصر الأموي، الإمام الذهبي، الوعظ الديني، سير أعلام النبلاء.

Abstract:

This study examines religious exhortation during the Umayyad period as a method of Islamic preaching and guidance, drawing on the biographies and accounts preserved in *Siyar A'lam al-Nubala* by Imam Shams al-Din al-Dhahabi. It aims to identify the terminology used by scholars to describe exhortation, explore the intellectual and doctrinal affiliations of preachers mentioned in the work, and clarify the principal fields and themes of their preaching. The study employs a historical approach to situate exhortation within its period, an inductive approach to collect relevant biographical evidence, and a descriptive approach to organize and characterize the material. The findings indicate that scholars employed two principal sets of terms: wa'z (exhortation), including wa'iz (preacher) and ya'iz (to exhort), and qasas (narrative preaching), including qass (storyteller-preacher) and the expression "he used to narrate". Most preachers whose biographies appear in al-Dhahabi's work for the Umayyad period are associated with Sunni Islam, although the accounts also include individuals affiliated with other religious and theological orientations, including Sufis, Shi'a, Murji'a, and Qadariyya. The findings further demonstrate that exhortation addressed diverse spheres of life, encompassing religious, social, political, ethical, and moral concerns. This diversity illustrates the range of subjects addressed by preachers during the Umayyad period and the varied contexts in which exhortation was practiced. The study also highlights the value of historical biographies for examining Islamic preaching traditions.

Keywords: Umayyad Period, Imam al-Dhahabi, Religious Exhortation, *Siyar A'lam al-Nubala*

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه.

وبعد: فإن الوعظ من أساليب الدعوة المهمة، التي وردت بها النصوص، فقد ذكر الله ذلك بقوله: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥]، وقد أمر الله نبيه ﷺ بأن يعظ الناس ويبلغهم أمر الله.

ولما كان كتاب (سير أعلام النبلاء) موسوعة إسلامية ضخمة، شملت تراجم جماهير من نبلاء الإسلام في مختلف العصور حتى عصر مؤلفه الحافظ الذهبي رحمه الله، رأيت أن أدرس من خلاله الوعظ في العصر الأموي، من حيث أعلامه، ومجالات، وطرائق الوعظ، والفئات المستهدفة به خدمة للدعوة وأهلها، راجياً من الله التيسير والسداد.

أهداف البحث

يهدف البحث إلى تحقيق الآتي:

1. التعرف بأعلام من الوعظ في العصر الأموي.
2. بيان مجالات الوعظ في العصر الأموي.
3. بيان أساليب الوعظ في العصر الأموي.
4. ذكر الفئات المستهدفة بالوعظ في العصر الأموي.

مشكلة البحث

تتركز مشكلة البحث في مقصد التعرف بالوعظ في العصر الأموي، وتتجلى هذه المشكلة من خلال الأسئلة الآتية:

1. من هم أهم الوعظ في العصر الأموي؟
2. ما مجالات الوعظ في العصر الأموي؟
3. ما أساليب الوعظ في العصر الأموي؟
4. ما الفئات المستهدفة بالوعظ في العصر الأموي؟

حدود البحث

يتحدد هذا البحث من جهتين: الحدود الزمانية، وهي حدود العصر الأموي (41هـ - 132هـ)، والحدود العلمية، وهي لا تعدو نطاق كتاب: (سير أعلام النبلاء) للحافظ الذهبي رحمه الله.

منهج البحث

سيتبع الباحث المنهج التاريخي، والاستقرائي والوصفي بحسب طبيعة البحث.

الدراسات السابقة

لم يجد الباحث دراسة علمية سابقة في موضوع الوعظ في العصر الأموي من خلال كتاب: (سير أعلام النبلاء)، للحافظ أبي عبد الله الذهبي رحمه الله.

خطة البحث

تتكون خطة البحث من مقدمة، ومدخل، وثلاثة مباحث، وخاتمة.

المقدمة: وفيها أهداف البحث، ومشكلته، وحدوده، ومنهجه، والدراسات السابقة، وخطة البحث، وإجراءاته.

المدخل، فيه: نبذة مختصرة عن الحافظ الذهبي رحمه الله، وكتابه سير أعلام النبلاء، وعن الوعظ، وعن العصر الأموي.

المبحث الأول: أشهر أعلام الوعظ في العصر الأموي، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الوعظ من أهل السنة

المطلب الثاني: الوعظ من المتصوفة

المطلب الثالث: الوعظ من بقية الفرق

المبحث الثاني: مجالات الوعظ في العصر الأموي، ووسائله، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مجالات الوعظ في العصر الأموي.

المطلب الثاني: أساليب الوعظ في العصر الأموي.

المبحث الثالث: الفئات المستهدفة بالوعظ في العصر الأموي، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الولاة والحكام.

المطلب الثاني: العامة.

المطلب الثالث: النساء.

الخاتمة، وفيها أهم النتائج والتوصيات.

إجراءات البحث

اتبعت الإجراءات الآتية:

1. كتابة الآيات برسم المصحف العثماني.
2. تخرّيج الأحاديث من مظانها المتعمدة؛ بدء بالصحيحين، ثم السنن الأربعة، وبيان درجة الأحاديث إذا لم تكن في الصحيحين.
3. الترجمة بدرجة أساس للقصاص والوعظ المذكورة أسماؤهم في البحث، وإن تطلبت ضرورة البحث الترجمة لغيرهم قمت بذلك.
4. تحليل النصوص تحليلًا علميًا رصينا، مع الاستعانة بكتب التراث.
5. التمهيد لبعض القضايا المهمة بتأصيل شرعي قبل الخوض في بيان حال الوعظ في عصر الدراسة.
6. بيان المراد بالكلمات الغامضة أو الغريبة من معاجم اللغة.

مدخل: نبذة مختصرة عن الحافظ الذهبي وكتابه سير أعلام النبلاء وعن الوعظ وعن العصر الأموي

أولاً: نبذة مختصرة عن الحافظ الذهبي وكتابه سير أعلام النبلاء:

(أ) الذهبي: هو: محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز بن عبد الله التركماني الأصل، ثم الدمشقي، الحافظ أبو عبد الله شمس الدين الذهبي، ولد في ثالث ربيع الآخر سنة (673هـ)⁽¹⁾، وصفه الشوكاني: «فقال: المؤرخ صاحب التصنيف

(1) العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، «الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة»، (ط2)، حيدر آباد، الهند، مجلس دائرة المعارف العثمانية، 1972م، (5/66).

وقيل هو: «التذكير بفعل الخير وترك الشر بأسلوب يرقق القلوب، ويشتمل على الترغيب والترهيب»⁽¹¹⁾.

فهذا التعريف جمع بين مقومات الوعظ الأساسية وهي: ترقيق القلب والترغيب والترهيب والحث على الخير وترك الشر، وقال الشنقيطي⁽¹²⁾ رحمه الله: «ضابط الوعظ: هو الكلام الذي تلين له القلوب، وأعظم ما تلين له قلوب العقلاء أوامرهم ونواهيهم»⁽¹³⁾.

3. والوعظ قد ذكره الله في القرآن الكريم كأسلوب من أساليب الدعوة إلى الله، كما في قوله تعالى: ﴿أَذْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل: 125]، كما أن الله ذكر الوعظ في مواضع عديدة من كتابه في معرض الدعوة والتذكير والتخويف، ومنها قوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيْمِ اللَّهِ﴾ [إبراهيم: 5]، قال ابن العربي⁽¹⁴⁾ رحمه الله: «هذه الآية أصل في الوعظ المرقق للقلوب»⁽¹⁵⁾.

والوعظ من المقومات التربوية الأساسية في الإسلام، أشار إليها القرآن الكريم كثيراً واعتمدها النبي ﷺ في تربيته للأمة، فقد ثبت أنه كان يتخول أصحابه بالموعظة بين الحين والآخر، وقد أخذ الصحابة والسلف من بعده بذلك.

وبناء على ما تقدم فإن الوعظ ليس مقتصرًا على عصر دون عصر، وإنما هو أسلوب تذكير، ودعوة وتربية لا يستغنى عنه في كل العصور.

وقد عد الوعظ بعض العلماء علماً مستقلاً بذاته له مقوماته، ومحدداته المنهجية، وألف عدد من العلماء كتباً خاصة فيه، وأما كتب الوعظ فكثيرة يطول تعدادها، منها: «القصاص والمذكرين»، و«المدحش»، وكلاهما لابن الجوزي رحمه الله، و«تحذير الخواص من أكاذيب القصاص»، للسيوطي⁽¹⁶⁾ رحمه الله، وغيرها.

ثالثاً: بيان الحافظ الذهبي رحمه الله عن نسبة المترجم له للوعظ:

الذهبي وغيره من مؤلفي التراجم يسمون أهل التذكير والوعظ قُصَّاصاً⁽¹⁷⁾، فيعبرون عن النسبة إلى الوعظ بمصطلحين: الأول: مصطلح الوعظ نفسه، فيقولون: الوعظ وفلان الواعظ ويعظ.. والثاني: مصطلح القصص، فيقولون:

السائرة في الأقطار، طلب العلم بنفسه بعد سنة (690هـ)، ثم رحل إلى القاهرة، وأخذ عن جماعة، ومهر في فن الحديث، وجمع فيه المجاميع المفيدة الكثيرة. وكان أكثر أهل عصره تصنيفاً، وجمع تاريخ الإسلام، فأرنب فيه على من تقدمه بتحرير أخبار المحدثين خصوصاً⁽²⁾.

طاف الذهبي رحمه الله كثيراً من البلدان، وكف بصره سنة (741هـ)، وتصانيفه كبيرة كثيرة تقارب المئة⁽³⁾. والناس في التاريخ من أهل عصره فمن بعدهم عيال عليه، ولم يجمع أحد في هذا الفن كجمعه، ولا حرره كتحريره⁽⁴⁾.

وقد مدحه تلميذه تاج الدين ابن السبكي رحمه الله، فقال: «وأما أستاذنا أبو عبد الله فبصر لا نظير له، وكنز هو الملجأ إذا نزلت المعضلة، إمام الوجود حفظاً، وذهب العصر معنى ولفظاً، وشيخ الجرح والتعديل، ورجل الرجال في كل سبيل، كأنما جمعت الأمة في صعيد واحد فنظرها ثم أخذ يخبر عنها إخبار من حضرها. قرأ القرآن بالروايات وأقرأه، توفي في ليلة الاثنين ثالث ذي القعدة سنة (748هـ)⁽⁵⁾.

(ب) سير أعلام النبلاء:

هو كتاب سفر عظيم من محاسن كتب الإسلام، مؤلف على الطبقات، بما يقارب أربعين طبقة، ولا يكتفي بالترجمة للشخص فقط، وإنما يذكر مذهبه العقدي، وبعض مواقفه، وينقد أحياناً، ويبين الوجه الذي يراه، وفيه اعتناء بتراجم الأعلام المشهورين، وغالبية من ترجم لهم من أهل العناية بالحديث النبوي الشريف رواية ودراية⁽⁶⁾.

ثانياً: نبذة عن الوعظ:

1. الوعظ في اللغة:

من (وعظ). يقال: «وَعِظَهُ يَعِظُهُ وَعِظاً، وَعِظَةً، كَعِدَةٍ، وَمَوْعِظَةٍ: ذَكَرَهُ مَا يَلِينُ قَلْبُهُ مِنَ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ»⁽⁷⁾.

2. الوعظ في الاصطلاح:

عرفه ابن الجوزي⁽⁸⁾ رحمه الله فقال: «الوعظ هو تخويف يرق له القلب»⁽⁹⁾. وعرفه أبو حيان فقال: «الوعظ هو التذكير بما يحل بمن خالف أمر الله تعالى من العقاب»⁽¹⁰⁾.

(2) الشوكاني، محمد بن علي، «البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع»، (بيروت، دار المعرفة)، (110/2).

(3) الزركلي، خير الدين بن محمود، «الأعلام»، (ط15، بيروت، دار العلم للملايين، 2002م)، (326/5).

(4) البدر الطالع، الشوكاني، (111/2).

(5) السبكي، عبد الوهاب بن تقي الدين، «طبقات الشافعية الكبرى»، تحقيق: محمود الطناحي، بالاشتراك، (ط2، دار هجر، 1413هـ)، (101/9 - 105).

(6) ينظر: الذهبي، محمد بن أحمد، «سير أعلام النبلاء»، تحقيق: مجموعة من المحققين، (ط3، مؤسسة الرسالة، 1985م)، (المقدمة: 111).

(7) الزبيدي، محمد بن عبد الرزاق، «تاج العروس من جواهر القاموس»، المحقق: مجموعة من المحققين، (دار الهداية)، (289/20).

(8) هو أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبد الله بن الجوزي الواعظ، وصنف الكثير، وكان أواحد وقته في الوعظ، وكان حافظاً ثقة، من مؤلفاته: المنتظم في التاريخ، وزاد المسير في التفسير، والوجوه والنظائر، والمدحش، وغيرها كثير، (ت597هـ). انظر: ابن نقطة، أبو بكر محمد بن عبد الغني البغدادي الحنبلي، «تكملة الإكمال»، تحقيق: محمد صالح عبد العزيز، (ط2، جامعة أم القرى، 1418هـ)، (384/2).

(9) ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، «كتاب القصص والمذكرين»، تحقيق: محمد الصباغ، (ط2، بيروت، المكتب الإسلامي، 1988م)، (ص: 162).

(10) الأندلسي، محمد بن يوسف، «البحر المحيط في التفسير»، تحقيق: صدقي جميل، (بيروت، دار الفكر، 1420هـ)، (687/3).

(11) طنطاوي، محمد سيد، «التفسير الوسيط للقرآن الكريم»، (ط1، القاهرة، دار تحفة مصر، 1988م)، (199/3).

(12) محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي: مفسر مدرّس من علماء شنقيط (موريتانيا). ولد وتعلم بها. وحج (1367هـ) واستقر مدرّساً في المدينة المنورة ثم الرياض، له كتب، منها: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات، وآداب البحث والمناظرة، وغيرها، (ت1393هـ). انظر: الزركلي، الأعلام، (45/6). (13) الشنقيطي، محمد الأمين، «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن»، (بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع 1415هـ)، (437/2).

(14) هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن العربي المعافري الإشبيلي القاضي، فقيه حافظ عالم متقن أصولي محدث مشهور أديب رائق الشعر رئيس وقته، رحل في أحواز الخمسمائة وصحبه ابنه وأقام بالعراق مدة وبالشام ومصر وتفقه هناك. وروى فأكثر، وتأليفه كثيرة نافعة، منها: كتاب أحكام القرآن، والتلخيص في مسائل الخلاف، والقبس في شرح موطأ مالك بن أنس، وقانون التأويل، وسراج المريدين، وغيرها، (ت543هـ). انظر: الضبي، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة، «بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس»، (القاهرة، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1967م)، (ص: 92).

(15) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، «الإكمال في استنباط التنزيل»، تحقيق: سيف الدين الكاتب، (بيروت، دار الكتب العلمية، 1981م)، (ص: 158).

(16) جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد بن خليل بن نصر السيوطي الأصل الطولوني الشافعي، رزق التبحر في سبعة علوم: التفسير والحديث والفقه والنحو والمعاني والبيان والبديع. مؤلفاته حجة، ومنه: الإقتان في علوم القرآن، والدر المنثور، وجمع الواويع. (ت911هـ)، انظر: حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني العثماني: «سلم الوصول إلى طبقات الفحول»، تحقيق: محمود عبد القادر الأرنؤوط، (مكتبة إرسيسكا، إستانبول - تركيا، 2010م)، (248/2).

(17) القرشي، محمد بن محمد بن الأخوة (المتوفى: 729هـ)، «معالم القرية في طلب الحسبة»، (كمبريدج، بريطانيا، دار الفنون)، (ص: 180).

وقد كان من أبرز المحطات المهمة في هذا الباب: ما كان في عهد معاوية بن أبي سفيان، وفي عهد عبد الملك بن مروان، وفي عهد عمر بن عبد العزيز.

فالناظر في عهود هؤلاء الثلاثة الخلفاء يجد تطوراً ملموساً في الجوانب الإدارية للدولة، مع اختلاف في ترتيب الأولويات والإنجازات. وهذا التطور الإداري بسبب توسع رقعة الدولة واحتكاكها بمن حولها.

ج. القضاء على الخوارج، وكان ابتداء التعامل معهم من أيام معاوية إلى تم القضاء عليهم أيام عبد الملك بن مروان⁽²⁴⁾، وقد ساعد على ذلك عدة عوامل؛ من أهمها كثرة انشقاقاتهم على أنفسهم، وقيامهم بأعمال تخريبية في المجتمع أدت إلى انفضاض الناس عنهم ونبتذ أفكارهم.

د. توسع الفتوحات الإسلامية في عصر بني أمية وتعددت أجناس المسلمين واختلطت الشعوب الإسلامية وتشابكت العلاقات فيما بينها، وأدى ذلك إلى شيوع كثير من الأعراف والعادات واختلاطها، كما أن ذلك زاد من احتياجات الدولة في كل المجالات، لاسيما المجال الدعوي والوعظي والتعليمي.

المبحث الأول: أشهر أعلام الوعاظ في العصر الأموي

وهنا سأذكر أعلام الوعاظ فقط وليس على سبيل الاستقصاء، وذلك بذكر: اسم الواعظ ووصفه بالوعظ.

ولا شك في وجود تفاوت بين الوعاظ في مراتبهم وشهرتهم وإكثارهم من الوعظ وإقلالهم منه، فهم ليسوا على وزن واحد في ذلك، ثم إن بعضهم تمحّض للوعظ مع ضعف بضاعته العلمية، وهذا بشهادة كثير من علماء عصرهم ممن تناولوهم بالتوثيق والتعديل، كما نجد في كتاب السير وغيره.

وبعضهم جمع بين الوعظ وتحقيق العلم الشرعي، بل لقد ذكر الذهبي تضلّع الوعاظ القدامى بالعلم، فقال: «قد كان القاص في الزمن الأول يكون له صورة عظيمة في العلم والعمل»⁽²⁵⁾. وكلامه هذا يوحي بتغير هذا الحال في الوعاظ بعد ذلك في زمن الذهبي. ولكن كلامه هذا أيضاً ليس على إطلاقه في القدامى، بل دليل ما يذكره هو عن ضعف بعض الوعاظ في العصر الأموي وقبله في العلم والرواية والدراسة⁽²⁶⁾.

ولم يكن القيام بالوعظ مقتصرًا على طائفة خاصة أو فرقة معينة، ولذلك نجد وعظاً من كل الطوائف والفرق، ك(أهل السنة، والصوفية)، وغيرهم ممن يقرب أو يبعد عن هؤلاء، مما يدل على حيوية الوعظ وأهميته في الثقافة الإسلامية عموماً. وسوف أذكر هنا عدداً من الوعاظ، بحسب ما ذكره الذهبي، ولا بد من التنبيه في هذا المقام على ما يأتي:

إن الذهبي لم يقل عن أحد أنه من أهل السنة، وإنما اعتمدت في ذلك على الشهرة والاستفاضة ومدح المشاهير من أهل العلم - ومنهم الذهبي - للذين أثبتهم في أهل السنة. ومثل هذا يمكن قوله عن الأعلام المثبتين في فرقة الصوفية.

وأما النسبة إلى الفرق الأخرى فقد اعتمدت على ما ذكره الذهبي أو نقله في ذلك، وربما سقط بعض الوعاظ غير المشهورين، الذين لم يذكر الذهبي نسبتهم إلى الوعظ، ولا أبغى الاستقصاء، فحدود البحث في إطار كتاب: (سير أعلام النبلاء).

فلان القاص، وكان يقص، وهذا ظاهر في كتبهم، ومواضعه كثيرة، فالمصطلحان عندهم بمعنى، وفي هذا يقول الذهبي في ترجمة حماد بن سلمة⁽¹⁸⁾ رحمه الله: «قلت: القاص هو الواعظ»⁽¹⁹⁾. وربما كان ذلك لأن الوعّاظ كثيراً ما يذكرون القصص في وعظهم ابتغاء للتأثير فأطلق ذلك عليهم. وقال ابن الجوزي رحمه الله: «فالقاص: هو الذي يتبع القصة الماضية بالحكاية عنها، والشرح لها، وذلك القصص. وهذا في الغالب عبارة عن يروي أخبار الماضين. وهذا لا يذم لنفسه، لأن في إيراد أخبار السالفين عبرة لمعتبر، وعظة لمزدرج، واقتداء بصواب لمبتع»⁽²⁰⁾، وقيل: القصص التكلم بالقصص والأخبار والمواعظ وقيل المراد به الخطبة خاصة⁽²¹⁾.

ولا يوجد كبير فرق بين المصطلحين من وجهة نظر الباحث، فالواعظ شخص ينصح الناس، ويذكرهم بالعواقب، ويحفّزهم على فعل الخيرات، وترك المحرمات، وتجنب السيئات، والقصص أسلوب من جملة أساليبه، وأما القاص فأسلوبه الرئيس، وسلعته الأولى هي القصص، وإنما يكتسب مصطلح القاص معنى مذكوماً حين ينجح إلى القصص المكنونة المصطنعة، أو المتكلفة، أو المعتمدة على الإسرائيليات، أو القائمة على سر الأحاديث والروايات الموضوعية، التي لا أصل لها.

وقد ذكر الذهبي رحمه الله في سير أعلام النبلاء عددًا من الوعاظ في العصر الأموي، ترجم لهم، ونسب بعضهم إلى الوعظ والقص أو وصفهم به، وربما ذكر بعضهم من غير أن يصفهم بالوعظ أو القص ولم ينسبهم إليه، ولكن يعرفون من خلال الاطلاع على تراجمهم بصورة دقيقة؛ حيث يتبين حالهم من كلامهم ونشاطهم وأعمالهم، أو من مصادر أخرى فيعرفون أنهم وعّاظ، مقلين أو مكثرين.

رابعاً: العصر الأموي:

العصر الأموي هو العصر الذي تولى الخلافة أشخاص من بني أمية، وهو يبدأ من أول خلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما من سنة (41 - 60)، هجرية، وينتهي مع نهاية خلافة مروان بن محمد، الذي تولى الخلافة سنة (127) إلى سنة (132هـ)⁽²²⁾، وعدد الخلفاء (13)، أي أن العصر الأموي دام (91) سنة.

خامساً: بعض التحولات المهمة في العصر الأموي:

جرت بعض التحولات في عصر بني أمية في جوانب مختلفة، وأهم تلك التحولات هي:

أ. في الجانب السياسي: أهم التحولات في هذا الجانب، ما يأتي:

1. اختلاف طريقة تولية الخليفة: فقد اختلفت طريقة اختيار الخليفة الحاكم من الاختيار والشورى إلى (ولاية العهد)، ومعاوية رضي الله عنه هو أول من فعل ذلك، حيث عهد بالخلافة إلى ابنه يزيد من بعده، ومن ثم توالى الأمر على ذلك المنوال في عصر بني أمية ومن بعدهم كذلك. وقد تكلم العلماء عن هذا الموضوع في مؤلفات عديدة، من حيث مبرراته وعيوبه وملايساته المختلفة.. بما يغني عن تكراره هنا⁽²³⁾.

2. تغيير عاصمة الخلافة إلى دمشق.

ب. في الجانب الإداري والمالي: حصل تطور ملحوظ في الجانب الإداري في عهد بني أمية، وذلك من خلال تنظيم الوظائف ودواوين الدولة المدنية والعسكرية،

(18) سنائي ترجمته لاحقاً

(19) سير أعلام النبلاء، الذهبي (452/7).

(20) كتاب القصص والمذكرين، ابن الجوزي (ص: 159).

(21) الكتاني، محمد عبد الحي، «التراتب الإداري»، تحقيق: عبد الله الخالدي، (الطبعة الثانية، بيروت، دار الأرقم)، (227/2).

(22) ينظر: السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، «تاريخ الخلفاء»، تحقيق: حمدي الدمرداش، (ط1، مكتبة نزار الباز، 1425هـ)، (ص: 146 - 160)

(23) ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (35/3).

(24) ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (246/4).

(25) ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (275/4).

(26) ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (94/9).

المطلب الأول: الوعاظ من أهل السنة

الظاهر أن أكثر الوعاظ المترجم لهم في سير الذهبي في العصر الأموي يندرجون تحت مسمى أهل السنة، كما يتضح ذلك من الاطلاع على تراجمهم واستفاضة أحوالهم، وأحياناً بإشارة الذهبي لذلك، ومن أولئك الوعاظ من أهل السنة على سبيل التمثيل وليس الحصر:

1. سعيد بن جبير الوالي، رحمه الله، الإمام، الحافظ، المقرئ، المفسر، الأسدي، الكوفي، أحد الأعلام. كان يشتغل بالوعظ، و«يقص كل يوم مرتين بعد صلاة الفجر وبعد العصر»⁽²⁷⁾. والقص هنا معناه الوعظ. قتل سعيد بن جبير: في شعبان، سنة (95هـ) هجرية⁽²⁸⁾، قال القاسم بن أبي أيوب: «سمعت سعيداً يردد هذه الآية في الصلاة بضعاً وعشرين مرة: ﴿وَأَتَقُوا يَوْمَ تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة: 281]»⁽²⁹⁾.

2. معبد بن خالد الجدلي الكوفي، رحمه الله، العابد، قاص الكوفة، وأحد الأئمة، أبو القاسم. حدث عن: جابر بن سمرة، والمستورد بن شداد، وحارثة بن وهب، ومسروق، وعبد الله بن شداد، وجماعة. روى عنه: مسعر، وحجاج بن أوطاة، وشعبة، والثوري، وغيرهم. وثقه: غير واحد. (ت118هـ)⁽³⁰⁾.

3. عبد الله بن كثير بن عمرو بن عبد الله الكتاني المكي، ابن زاذان بن فيروزان بن هرمز، رحمه الله، الإمام، العلم، مقرئ مكة، وأحد القراء السبعة، كان رجلاً مهيباً، طويلاً، أبيض اللحية، جسيماً، أسمر، أشهل العينين، تعلوه سكينه ووقار، وكان فصيحاً، مفوهاً، واعظاً، كبير الشأن، (ت120هـ). وكان سفيان بن عيينة يسمع قصصه وهو غلام، وكان قاص الجماعة⁽³¹⁾.

4. أبو مسلم الخولاني، عبد الله بن ثوب الداراني، رحمه الله، سيد التابعين، وزاهد العصر، أدرك الجاهلية وسكن الشام فنزل بداريا، أصله من اليمن، وقدم منها وقد أسلم في أيام النبي ﷺ فدخل المدينة في خلافة الصديق. وكان يدخل على معاوية فيعظه، (ت62هـ)⁽³²⁾. وله فضائل عظيمة.

5. أبو إدريس الخولاني، عائذ الله بن عبد الله، رحمه الله، قاضي دمشق، وعلمها، وواعظها. ولد: عام الفتح، وحدث عن أبي ذر، وأبي الدرداء، وحذيفة... وعن محمد بن شعيب بن شابور: أخبرني يزيد بن عبيدة: أنه رأى أبا إدريس في زمن عبد الملك بن مروان، وأن حلق المسجد بدمشق يقرؤون القرآن، يدرسون جميعاً، وأبو إدريس جالس إلى بعض العمد، فكلما مرت حلقة بآية سجدة، بعثوا إليه يقرأ بها، وأنصتوا له، سجد بهم جميعاً، وربما سجد بهم ثنتي عشرة سجدة، حتى إذا فرغوا من قراءتهم، قال أبو إدريس يقص: ثم قال يزيد بن عبيدة: ثم إنه قدم القصص بعد ذلك. وروى: الوليد بن مسلم، عن ابن جابر: أن عبد الملك عزل أبا إدريس عن القصص، وأقره على القضاء، فقال أبو إدريس: عزلتموني عن رغبتني، وتركتموني في رهبتني.

قلت⁽³³⁾: قد كان القاصُّ في الزمن الأول يكون له صورة عظيمة في العلم والعمل⁽³⁴⁾.

هنا يوضح الإمام الذهبي صورة الوعاظ وأنها عظيمة في مجتمعه كما يحدد وظيفته العلمية والعلمية.

6. عبيد بن عمير بن قتادة الليثي، رحمه الله، الواعظ، المفسر، ولد في حياة رسول الله ﷺ، وكان يذكّر الناس، فيحضر ابن عمر رضي الله عنهما مجلسه⁽³⁵⁾. قال أبو نعيم: وهو من تابعي أهل مكة، الواعظ الصغير العابد الضمير⁽³⁶⁾.

وعن مجاهد قال: «كنا نفخر بفقيهنا ونفخر بقاصنا، فأما فقيهنا فابن عباس، وأما قاصنا فعبيد بن عمير»⁽³⁷⁾، قيل: توفي (74) هجرية، عن ثابت البناني، قال: أول من قص عبيد بن عمير على عهد عمر بن الخطاب... عن عطاء قال: دخلت أنا وعبيد بن عمير على عائشة، فقالت له: خُفِّفْ، فإن الذِّكْر ثَقِيلٌ - تعني: إذا وعظت⁽³⁸⁾.

7. بكر بن عبد الله بن عمرو أبو عبد الله المزني، رحمه الله، الإمام، القدوة، الواعظ، الحجة، أبو عبد الله المزني، البصري، أحد الأعلام، يذكر مع الحسن وابن سيرين⁽³⁹⁾، مات سنة (108هـ)⁽⁴⁰⁾.

8. الحسن البصري، وهو: الحسن بن أبي الحسن يسار، أبو سعيد، مولى زيد بن ثابت، كان كثير الجهاد، وهو ممن جمع بين العلم والوعظ والغزو، وهو من كبار العلماء والوعاظ في العصر الأموي، قال محمد بن سعد: كان الحسن جامعاً، عالماً، رفيعاً، فقيهاً، ثقة، حجة، مأموناً، عابداً، ناسكاً، كثير العلم، فصيحاً، جميلاً، وسيماً... وكان له مجلس خاص في منزله، لا يكاد يتكلم فيه إلا في معاني الزهد والنسك وعلوم الباطن، فإن سأله إنسان غيرها، تبرم به، وقال: إنما خلونا مع إخواننا نتذاكر. فأما حلقاته في المسجد، فكان يمر فيها الحديث، والفقه، وعلم القرآن واللغة، وسائر العلوم، وكان ربما يسأل عن التصوف، فيجيب، وكان منهم من يصحبه للحديث، وكان منهم من يصحبه للإخلاص وعلم الخصوص.

وكان الحسن يعظ العامة والخاصة والولاة والحكام، وعن الأعمش، قال: ما زال الحسن يعي الحكمة حتى نطق بها، وكان إذا ذكر الحسن عند أبي جعفر الباقر، قال: ذاك الذي يشبه كلامه كلام الأنبياء.

وكان الحسن شديد التأثير في المجتمع، وهو رائد مدرسة البصرة في الوعظ والسلوك والتزكية، (ت110هـ)⁽⁴¹⁾.

تصدر اسمه أسماء العلماء الذين بدأت بهم مدرسة السيرة والتاريخ ومذاهب علم الكلام، وأئمة الزهد والوعظ، وأساطين الفصاحة والبلاغة، ورجال الفقه والتفسير، وغيرهم.

9. محمد بن كعب بن حبان بن سليم بن أسد القرظي. ويكنى أبا حمزة، رحمه الله. وقد روي أنه كان يقص، أي: يعظ⁽⁴²⁾، فسقط عليه، وعلى أصحابه مسجد فقتلهم. (ت117هـ)، وقيل: (ت118هـ)، كان ثقة عالماً كثير الحديث ورعاً⁽⁴³⁾.

(35) سير أعلام النبلاء، الذهبي (156/4، 157).

(36) الأصبهاني، أحمد بن عبد الله، «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء»، (دار السعادة، 1974م)، (266/4).

(37) كتاب القصاص والمذكرين، ابن الجوزي (ص: 229).

(38) سير أعلام النبلاء (157/4).

(39) أي في المنزلة في الوعظ والتذكير.

(40) سير أعلام النبلاء، الذهبي (535/4).

(41) ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (563/4 - 587).

(42) ينظر: كتاب القصاص والمذكرين، ابن الجوزي (ص: 235).

(43) ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (66/5).

(27) البصري، محمد بن سعد، «الطبقات الكبرى»، تحقيق: محمد عطا، (ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1410هـ)، (270/6).

(28) ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (321/4 - 341).

(29) ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (324/4).

(30) ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (205/5).

(31) ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (318/5 - 319).

(32) ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (14/4).

(33) القائل هو الحافظ الذهبي.

(34) ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (273/4 - 275).

المطلب الثاني: الوعاظ من المتصوفة:

ذكرنا سابقاً أن الذهبي رحمه الله لم يذكر أحداً ممن نسبهم إلى الوعظ في عصر بني أمية أنه صوفي، ولعل مرد ذلك إلى أن الصوفية لم تعرف إلا بعد المائتين من الهجرة، يقول ابن تيمية رحمه الله: «أما لفظ «الصوفية» فإنه لم يكن مشهوراً في القرون الثلاثة وإنما اشتهر التكلم به بعد ذلك»⁽⁵⁵⁾.

ومع هذا فإن المذكورين هنا في فرقة المتصوفة لم يعرف عنهم انحراف في التصور، ولا في العمل ولا الابتداع. حتى لقد أطلق بعضهم على ذلك التصوف أنه تصوف سني، لما رأى في أصحابه من الالتزام بالكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح، قال الذهبي رحمه الله: «وقد كان ثابت البناني، ومالك بن دينار يعظان أيضاً، ولكنهما كانا من أهل السنة»⁽⁵⁶⁾.

وهذا يؤكد ما ذكرته من عدم التفريق في تلك الفترة بين أهل السنة والصوفية، لعدم ظهور عقائد منحرفة في المتصوفين.

وفي العموم فإن الناظر في كثير من المذكورين في أهل السنة وفي المتصوفة لا يجد كبير فرق، بل إن عندهم أوصاف مشتركة، في السلوك والعبادات.. ولم أجد معياراً فاصلاً في التفريق بينهم إلا الشهرة والاستفاضة في الاتصاف إما بالعلم والفقه لدى من وضعهم تحت فرقة أهل السنة، أو بالوعظ والزهد والنسك والعبادة تحت فرقة الصوفية.

والخلاصة أن التصوف في العصر الأموي لم يكن يمثل فرقة عقديّة مستقلة، ذات أصول مخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة، إذ لم يكن قد تبلور كمدرسة أو طريقة منظمة، بل كان في معظمه نزوع إلى الزهد والعبادة، ظهر عند بعض الصالحين الذين عُرفوا بالزهد والعباد، كالحسن البصري ومحمد بن سيرين، وكان تركيزهم على الإكثار من العبادة، والخوف من الله، والزهد في الدنيا، دون الخروج عن أصول عقيدة أهل السنة.

ومن يمكن ذكرهم هنا، ويحسبون على الصوفية، وهم في الأصل من أهل السنة:

1. محمد بن واسع بن جابر بن الأخنس الأزدي، الإمام، الرباني، القدوة، أبو بكر. ويقال: أبو عبد الله الأزدي، البصري، رحمه الله، أحد الأعلام والعُباد، وكان يقص⁽⁵⁷⁾. ووعظه عام للخاصة والعامة، كما يتضح من الروايات عنه. (ت123هـ). وقيل: (ت127هـ)⁽⁵⁸⁾.

2. ثابت بن أسلم أبو محمد البناني البصري، رحمه الله، الإمام، القدوة، شيخ الإسلام، ولد في خلافة معاوية رضي الله عنه. وكان رأساً في العلم، والعمل ثقة رفيعة، روى حماد بن زيد عن أبيه قال: قال أنس بن مالك رحمه الله: إن للخير أهلاً، وإن ثابتاً هذا من مفاتيح الخير. وقال أحمد بن حنبل رحمه الله: كان ثابت يتثبت في الحديث، وكان يعظ ويقص⁽⁵⁹⁾. وعن حماد بن سلمة، قال: كنت أسمع أن القصص لا يحفظون الحديث، فكنت أقلب الأحاديث على ثابت أجعل أنسا لابن أبي ليلى وبالعكس، أشوشها عليه، فيجيء بها على الاستواء. (ت123هـ)، وقيل: (ت127هـ)⁽⁶⁰⁾.

10. بلال بن سعد بن تميم السكوني، الإمام، الرباني، الواعظ، شيخ أهل دمشق... روي عن الأوزاعي أنه قال: «لم أسمع واعظاً قط أبلغ من بلال بن سعد. يقول الذهبي: كان بليغ الموعظة، حسن القصص، نقاعاً للعامة. مات سنة نيف وعشرة ومائة»⁽⁴⁴⁾.

11. موسى بن وردان العامري، رحمه الله، مولاهم، الإمام، الواعظ، أبو عمر العامري مولاهم، المصري، القاص، (ت117هـ)⁽⁴⁵⁾.

12. عطاء بن أبي مسلم الخراساني، رحمه الله، المحدث، الواعظ، نزيل دمشق والقدس، (ت133هـ)⁽⁴⁶⁾، وقيل: (ت135هـ)⁽⁴⁷⁾.

13. سليمان بن يسار المدني، رحمه الله، مولى أم المؤمنين ميمونة، الفقيه، الإمام، عالم المدينة، ومفتيها، مولى أم المؤمنين ميمونة الهلالية، وأخو: عطاء بن يسار، قيل: كان سليمان مكاتباً لأُم سلمة. وكان من أوعية العلم، وكان إماماً، فقيهاً، واعظاً، مذكراً، ثبناً، حجة، كبير القدر⁽⁴⁸⁾، (ت107هـ)، وقيل: (ت104هـ)⁽⁴⁹⁾.

14. مطر الوراق، أبو رجاء رحمه الله، كان يكتب المصاحف، وله حظ من علم وعمل. وعن شيبه بنت الأسود، قالت: رأيت مطراً الوراق، وهو يقص. (ت129هـ)⁽⁵⁰⁾.

15. إبراهيم بن يزيد بن شريك التيمي، رحمه الله، الإمام، القدوة، الفقيه، عابد الكوفة، أبو أسماء. وكان شاباً، صالحاً، قانتاً لله، عالماً، فقيهاً، كبير القدر، واعظاً. (ت92هـ). وقيل: (ت94هـ)⁽⁵¹⁾.

16. عمر بن عبد العزيز بن مروان، الأموي، رحمه الله، الإمام، الحافظ، العلامة، المجتهد، الزاهد، العابد، أمير المؤمنين حقاً، أبو حفص القرشي، المدني، ثم المصري، الخليفة، الزاهد، الراشد، أشج بني أمية. كان من أئمة الاجتهاد، ومن الخلفاء الراشدين والعلماء العاملين. وكان يعظ في خطبه ومجالسه، ومواعظه كثيرة. عن ميمون بن مهران قال: كنت في سمر عند عمر بن عبد العزيز ليلة فتكلم فوعظ⁽⁵²⁾، (ت101هـ)⁽⁵³⁾.

17. إبراهيم بن أدهم إبراهيم العجلي، رحمه الله، القدوة، الإمام، العارف، سيد الزهاد، أبو إسحاق العجلي، وقيل: التميمي - الخراساني، البلخي، نزيل الشام، في حدود المائة. وعن يونس البلخي، قال: كان إبراهيم بن أدهم من الأشراف، وكان أبوه كثير المال والخدم، ورفض الدنيا، وقال: الزهد فرض، وهو الزهد في الحرام، وزهد سلامة، وهو الزهد في الشهوات، وزهد فضل، وهو الزهد في الحلال، (ت162هـ)⁽⁵⁴⁾. وقد قضى إبراهيم بن أدهم شطر حياته تقريباً في ظلال الدولة الأموية.

(44) ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (90/5)

(45) سير أعلام النبلاء، الذهبي (107/5 - 108).

(46) ابن عساکر، علي بن الحسن، «تاريخ دمشق»، تحقيق: عمرو العمري، (بيروت، دار الفكر، 1415هـ)، (436/40).

(47) سير أعلام النبلاء، الذهبي (143/6).

(48) ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (448/4).

(49) الذهبي، محمد بن أحمد، «تاريخ الإسلام»، تحقيق: بشار معروف، (ط1، دار الغرب الإسلامي، 2003م)، (59/4).

(50) سير أعلام النبلاء، الذهبي (453/5).

(51) سير أعلام النبلاء، الذهبي (60/5).

(52) الطبقات الكبرى، ابن سعد (288/5).

(53) ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (114/5 - 148).

(54) سير أعلام النبلاء، الذهبي (388/7 - 396).

(55) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم (المتوفى: 728هـ)، «مجموع الفتاوى»، تحقيق: عبد الرحمن بن قاسم، (المدينة النبوية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1416هـ)، (11/5).

(56) ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (180/7).

(57) ينظر: كتاب القصص والمذكرين، ابن الجوزي (ص: 263).

(58) سير أعلام النبلاء، الذهبي (119/6 - 123).

(59) ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (180/7).

(60) سير أعلام النبلاء، الذهبي (220/5 - 225).

8. أبو حازم سلمة بن دينار المدني المخزومي، رحمه الله، الإمام، القدوة، الواعظ، شيخ المدينة النبوية، الأعرج، التمار، القاص، الزاهد. ولد: في أيام ابن الزبير. قال ابن سعد: كان يقص بعد الفجر، وبعد العصر في مسجد المدينة⁽⁷⁵⁾. قال الضحاك بن عثمان: رأيته يعظ في المصلى إلى جانب المنبر حتى يخرج الخليفة. وعن أبي حازم، قال: إني لأعظ، وما أرى موضعاً، وما أريد إلا نفسي⁽⁷⁶⁾. ذكره في أهل التصوف⁽⁷⁷⁾. اختلفوا في موته: فقيل: (ت133هـ). وقيل: (135هـ)، وقيل: (140هـ)، وقيل: (144هـ)⁽⁷⁸⁾.

المطلب الثالث: الوعاظ من سائر الفرق:

لم أجد في سير أعلام النبلاء للذهبي إلا عدداً قليلاً جداً من الوعاظ في العصر الأموي ممن نسبوا إلى المرجئة والقدرية والشيعة، وبعضهم بُرئ مما نسب إليه، كما سيأتي.

فأما الشيعة فهي فرقة معلومة، ولا تزال ظاهرة إلى اليوم، في اعتقاداتها وأعمالها، و«هم الذين شايعوا علياً رضي الله عنه على الخصوص، قالوا بإمامته وخلافته نصاً ووصية، إما جلياً، وإما خفياً، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج عن أولاده وإن خرجت فبظلم يكون من غيره، وبتقية من عنده، وقالوا: ليست الإمامة قضية مصلحة تناط باختيار العامة وينتصب الإمام بنصبهم بل هي قضية أصولية، وهي ركن الدين لا يجوز للرسول عليهم الصلاة والسلام إغفاله وإهماله ولا تفويضه إلى العامة وإرساله. يجمعهم القول بوجوب التعيين والتنصيب، وثبوت عصمة الأنبياء والأئمة وجوباً عن الكبار والصغار، والقول بالتولي والتبري قولاً وفعلاً وعقداً إلا في حالة التقية، وبخالفهم بعض الزيدية في ذلك، وهم في تعدية الإمام كلام وخلاف كثير، وعند كل تعدية وتوقف مقالة، ومذهب وخطب»⁽⁷⁹⁾.

وأما المرجئة فيراد بهم: الذين يزعمون أن الإيمان مجرد النطق باللسان، وأن الناس لا يتفاضلون في الإيمان، وأن إيمانهم وإيمان الملائكة والأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم واحد، وأن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، وأن الإيمان ليس فيه استثناء، وأن من آمن بلسانه ولم يعمل فهو مؤمن حقاً. والمرجئة الخالصة: وهم الذين يقولون: لا يضر مع الإيمان ذنب، كما لا ينفع مع الكفر طاعة⁽⁸⁰⁾.

وأما القدرية: فهم الذين ينكرون القدر، ولقبوا بذلك لإسنادهم أفعال العباد إلى قدرتهم وإنكارهم القدر فيها، وهذا يقتضي إثبات خالق لأفعال العباد غير الله⁽⁸¹⁾.

وقد نسب عدد من الوعاظ في العصر الأموي إلى هذه الفرق، وبيان ذلك كما فيما يأتي:

الوعاظ الذين نسبوا إلى الإرجاء:

1. عون بن عبد الله بن عتبة ابن مسعود، رحمه الله، الإمام، القدوة، العابد، أبو عبد الله الهذلي، الكوفي، أخو فقيه المدينة عبيد الله. وقال ابن سعد: لما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة، جاءه راحلاً إليه عون بن عبد الله، وموسى بن

3. مالك بن دينار أبو يحيى البصري، رحمه الله، الزاهد، كان واعظاً ووعظه عام، لا يختص بفئة⁽⁶¹⁾. قال مالك بن دينار: «زمرنا لكم فلم ترقصوا» أي وعظناكم فلم تنعظوا⁽⁶²⁾. والثابت من سيرة مالك بن دينار بأنه من أعلام السلوك، وقد ذكره في علماء التصوف⁽⁶³⁾، ومن تلاميذ الحسن البصري، وأنس بن مالك وسعيد بن جبير، ومحمد بن سيرين، والقاسم بن محمد وغيرهم من علماء أهل السنة. (ت127هـ). وقيل: (130هـ)⁽⁶⁴⁾.

4. أيوب السختياني: أبو بكر العنزي مولاها، أبو بكر بن أبي تيممة كيسان العنزي، رحمه الله، الإمام، الحافظ، سيد العلماء، كان ثقة ثباتاً في الحديث، جامعاً عدلاً، ورعاً، كثير العلم، وكان إذا سئل عن شيء ليس عنده فيه شيء قال: أسأل أهل العلم وكان كثيراً ما يقول: لا أدري⁽⁶⁵⁾، ذكره أبو نعيم فقال: «فتي الفتیان، سيد العباد والرهبان، المنور باليقين والإيمان، السختياني أيوب بن كيسان، فقيهاً محجاً وناسكاً»⁽⁶⁶⁾. وكان ممن يخفي زهده، (ت132هـ)، وقيل: (131هـ)⁽⁶⁷⁾.

5. يزيد بن أبان، أبو عمرو الرقاشي البصري، القاص، رحمه الله، كان من زهاد أهل البصرة حدث عن أنس بن مالك، والحسن البصري، وغيرهما⁽⁶⁸⁾. وكان يدخل على عمر بن عبد العزيز فيعظه⁽⁶⁹⁾، وكان معروفاً بأنه يقص على الناس⁽⁷⁰⁾، «وكان أحد الوعاظ البكائين»⁽⁷¹⁾.

6. زياد مولى ابن عياش، رحمه الله وهو: الفقيه، الرباني، زياد بن أبي زياد، مولى عبد الله بن عياش، وكان رجلاً عابداً معتزلاً لا يزال يكون وحده يدعو الله، وكانت فيه لكمة، وكان يلبس الصوف ولا يأكل اللحم، وكانت له دربهات يعالج له فيها، وكان صديقاً لعمر بن عبد العزيز، وقدم عليه وهو خليفة فوعظه وقربه عمر وخالاه⁽⁷²⁾. قال مالك بن أنس كان زياد مولى ابن عياش رجلاً عابداً معتزلاً لا يزال يكون وحده يدعو الله وكانت فيه لكمة وكان يلبس الصوف ولا يأكل اللحم وكانت له دربهات يعالج له فيها وقال غير إسمايل وكان صديقاً لعمر بن عبد العزيز رحمه الله، وقدم عليه وهو خليفة فوعظه، وقربه عمر وخالاه، وكان بينهما كلام كثير⁽⁷³⁾.

7. فرقد بن يعقوب السبخي، أبو يعقوب البصري الحائك، أحد العباد الأعلام. له قصص ومواعظ. وروى عن رجل قال: دعي الحسن البصري إلى طعام، فنظر إلى فرقد السبخي وعليه جبة صوف، فقال: يا فرقد، لو شهدت الموقف لخرقت ثيابك مما ترى من عفو الله عز وجل، (ت131هـ)، بالبصرة⁽⁷⁴⁾.

(61) ينظر: ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، «صفة الصفوة»، تحقيق: أحمد بن علي، (القاهرة، دار الحديث، 2000م)، (164/2).

(62) حلية الأولياء، الأصبهاني (358/2).

(63) ينظر: الكلاباذي، محمد بن أبي إسحاق، «التعرف لمذهب أهل التصوف»، (بيروت، دار الكتب العلمية)، (ص: 27).

(64) سير أعلام النبلاء، الذهبي (364/5).

(65) الطبقات الكبرى، ابن سعد (246/9).

(66) حلية الأولياء، الأصبهاني، (6/3).

(67) سير أعلام النبلاء، الذهبي (15-26).

(68) تاريخ دمشق، ابن عساکر (72/65).

(69) ينظر: المصري، عبد الله بن عبد الحكم، «سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه»، تحقيق: أحمد عبيد، (ط6، بيروت، عالم الكتب، 1404هـ)، (ص: 94).

(70) العراقي، عبد الرحيم بن الحسين، «الباعث على الخلاص من حوادث القصص»، تحقيق: محمد الصباغ، (ط1، دار الوفاق، 2001م)، (ص: 86).

(71) تاريخ الإسلام، الذهبي (561/3).

(72) سير أعلام النبلاء، الذهبي (456/5).

(73) تاريخ دمشق، ابن عساکر (239/19).

(74) تاريخ الإسلام، الذهبي (480/3).

(75) الطبقات الكبرى، ابن سعد (421/5).

(76) ينظر: سير أعلام النبلاء (92/6).

(77) ينظر: التعرف لمذهب أهل التصوف (ص: 27).

(78) سير أعلام النبلاء، الذهبي (96-101).

(79) الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد، «الملل والنحل»، تحقيق: محمد سيد، (ط2، مؤسسة الحلبي، 146/1، 147).

(80) ينظر: البغدادي، عبد القاهر بن طاهر، «الفرق بين الفرق»، (ط2، بيروت، دار الآفاق الجديدة، 1977م)، (ص: 191).

(81) المقدسي، عبد الله بن أحمد بن قدامة (المتوفى: 620هـ)، «لمعة الاعتقاد»، (ط2، الرياض، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، 2000م)، (ص: 41).

2. طاووس بن كيسان اليماني، رحمه الله، الفقيه، القدوة، عالم اليمن، أبو عبد الرحمن الفارسي، ثم اليماني، الجندي، الحافظ. تروى عنه بعض المواعظ لبعض الخلفاء الأمويين، وللعمامة. قال الذهبي: «إن كان فيه تشيع، فهو يسير لا يضر إن شاء الله، (ت106هـ)⁽⁸⁹⁾».

3. عدي بن ثابت الأنصاري الكوفي، رحمه الله، الإمام، الحافظ، الواعظ، الأنصاري، الكوفي، سبط عبد الله بن يزيد الخطمي. وقال أبو حاتم: صدوق، كان إمام مسجد الشيعة، وقاصهم. (ت116هـ)⁽⁹⁰⁾.

الواعظ الذين نسبوا إلى القدرة:

وهو واحد فقط، وهو عبد الواحد بن زيد أبو عبيدة البصري، رحمه الله، الزاهد، القدوة، شيخ العباد، أبو عبيدة البصري، حدث عن: الحسن، وعطاء بن أبي رباح، وعبد الله بن راشد، وعبادة بن نسي، وعدة. وكان من النساك العباد، وكان عنده شيء من أصول أهل القدر. وكان من كبار العباد، والكمال عزيز. (توفي بعد 150هـ)⁽⁹¹⁾.

المبحث الثاني: مجالات الوعظ في العصر الأموي وأساليبه

المطلب الأول: مجالات الوعظ في العصر الأموي:

ويمكن تقسيم هذه المجالات كما يأتي:

أولاً: الوعظ الديني:

ولعل هذا الجانب هو الأكثر استهدافاً بالوعظ والمواعظ المنقولة عن الوعاظ في العصر الأموي، والمواعظ الكثيرة تشهد لهذا. وربما كان ذلك بسبب سهولة هذا المنحى، وقلة التبعات المترتبة عليه. وهو أيضاً باب واسع لإصلاح الناس والمجتمع، وباب من أبواب الدعوة والتربية والتزكية.

وقد أسهم أكثر الوعاظ - إن لم يكونوا كلهم - في هذا الباب، ولهم مواعظ كثيرة فيه في جوانب مختلفة، يمكن ذكر بعضها كالآتي:

1. الفقه في الزهد الوعظ ببيان حقيقة الحياة الدنيا:

وله غرضان أو غايتان: الحث على الزهد عن الدنيا والتقليل منها، وفقه الزهد وبيان مسالكه.

(أ) فقه الزهد: التنبيه على أن إخفاء الزهد خير من إظهاره، ومن قول أيوب السخيتي رحمه الله: «لأن يستر الرجل الزهد خير له من أن يظهره»⁽⁹²⁾. وهذا قاله في معرض إنكاره على بعض من يحضر مجلسه عندما رآه يظهر بعض تنسكه. وكان يقول أيضاً: «ليتق الله رجل، فإن زهد، فلا يعلن زهده عذاباً على الناس، فلأن يخفي الرجل زهده خير من أن يعلنه»⁽⁹³⁾.

ويبين السخيتي أيضاً بـ يكون الزهد: فعنه، أنه كان يقول: «الزهد في الدنيا ثلاثة أشياء: أحبها إلى الله وأعلىها عند الله وأعظمها ثواباً عند الله تعالى الزهد في عبادة من عبد دون الله من كل ملك وصنم وحجر ووثن، ثم الزهد فيما حرم الله تعالى من الأخذ والإعطاء، ثم كان يقبل على القراء، فيقول: زهدكم هذا

أبي كثير، وعمر بن ذر، فكلموه في الإرجاء، وناظروه، فزعموا أنه لم يخالفهم في شيء منه»⁽⁸²⁾.

قال: وكان عون ثقة يرسل. وقال البخاري: عون سمع أبا هريرة. وقال الأصمعي: كان من آدب أهل المدينة، وأفقههم، كان مرجئاً، ثم تركه. توفي عون: سنة بضعة عشرة ومائة⁽⁸³⁾.

2. عمر بن ذر بن عبد الله الهمداني أحد بني مرهبة، رحمه الله. ويكنى أبا ذر. وكان قاصاً. قال محمد بن سعد. قال محمد بن عبد الله الأسدي: توفي عمر بن ذر سنة ثلاث وخمسين ومائة في خلافة أبي جعفر. وكان مرجئاً فمات فلم يشهده سفيان الثوري ولا الحسن بن صالح. وكان ثقة إن شاء الله كثير الحديث. وقد ذكروا عنه قصة في الإرجاء هو وعون بن عبد الله وموسى بن أبي كثير. وسبقت في ذكر عون بن عبد الله، أنفاً. توفي عمر بن ذر في سنة ثلاث وخمسين ومائة، وكان مرجئاً، فمات، فلم يشهده سفيان الثوري، ولا الحسن بن صالح. وكان ثقة - إن شاء الله - كثير الحديث⁽⁸⁴⁾.

3. حماد بن سلمة بن دينار البصري، رحمه الله، الإمام، القدوة، شيخ الإسلام، أبو سلمة البصري. عن حماد بن سلمة، قال: أخذ إياس بن معاوية بيدي وأنا غلام، فقال: لا تموت حتى تقص، أما إني قد قلت: هذا لخالك - يعني: حميد الطويل - فما مات حماد حتى قص.

قال أبو خالد: قلت لحماذ: أنت قصصت؟ قال: نعم. قال الذهبي: قلت: القاص هو الواعظ⁽⁸⁵⁾. وقال معمر: قلت لحماذ: كنت رأساً، وكنت إماماً في أصحابك، فخالفتهم، فصرت تابعاً! قال: إني أن أكون تابعاً في الحق، خير من أن أكون رأساً في الباطل. قلت: يشير معمر إلى أنه تحول مرجئاً إرجاء الفقهاء، وهو أهم لا يعدون الصلاة والزكاة من الإيمان، ويقولون: الإيمان إقرار باللسان، ويقين في القلب، والنزاع على هذا لفظي - إن شاء الله. وإنما غلو الإرجاء من قال: لا يضر مع التوحيد ترك الفرائض نسأل الله العافية.

وقد أبان الذهبي سنية حماد فقال: «ولم يكن مثل حماد بالبصرة، ولم يكن يثلبه إلا معتزلي أو جهمي، لما كان يظهر من السنن الصحيحة»⁽⁸⁶⁾. وفي هذا بيان أن ما نسبوه إليه من الإرجاء لم يكن مما يذم به أو يخرج عن سياق أهل السنة. مات سنة 167⁽⁸⁷⁾.

الوعاظ الذين نسبوا إلى الشيعة:

1. زر بن حبيش بن حباشة بن أوس الأسدي، رحمه الله، الإمام، القدوة، مقرئ الكوفة مع السلمي، أبو مريم الأسدي، الكوفي، ويكنى أيضاً: أبا مطرف، أدرك أيام الجاهلية. وروى: زكريا بن حكيم الحبطي، عن الشعبي: أن زراً كتب إلى عبد الملك بن مروان كتاباً يعظه. وكان زر بن حبيش علويًا. أي أنه متشيع. (ت81هـ)، وقيل: (82هـ)، وهو ابن سبع وعشرين ومائة سنة⁽⁸⁸⁾.

(82) هذه الرواية ذكرها ابن سعد في الطبقات الكبرى (311/6)، وهي لا تثبت، لأن ابن سعد رواه بدون سند فهو إذا منقطع. ولأنه زعموا فيه صبغة التمرريض (زعموا). وأيضاً إن مثل هذا الزعم والادعاء لا يعول عليه لأن رواته متهمون بالإرجاء، وقد روي أن عون رجع عن الإرجاء، ولعل هذا كان قبل أن يتصل بعمر بن عبد العزيز. والله أعلم.

(83) سير أعلام النبلاء، الذهبي (103/5، 104).

(84) سير أعلام النبلاء، الذهبي (104/5) و(387/6-388).

(85) سير أعلام النبلاء، الذهبي (452/7).

(86) سير أعلام النبلاء، الذهبي (450/7).

(87) ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (233/5)، و(444/7).

(88) ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (166/4-170).

(89) ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (39/5-45).

(90) ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (188/5، 189).

(91) سير أعلام النبلاء، الذهبي (178-180) وكتاب القصص والمذكرين، ابن

الجوزي (ص: 268).

(92) حلية الأولياء، الأصبهاني (6/3).

(93) سير أعلام النبلاء، الذهبي (15/6-26).

بصحتهم، وغروا بنشاطهم»، وفي خطة أخرى قال: «إن الدنيا ليست بدار قراركم، دار كتب الله عليها الفناء، وكتب على أهلها منها الظعن، فكم عامر موثق عما قليل مخرب، وكم مقيم مغتبط عما قليل يظعن، فأحسنوا رحمكم الله منها الرحلة بأحسن ما يحضركم من النقلة، وتزودوا فإن خير الزاد التقوى، إنما الدنيا كفيء ظلال قلص فذهب، بينا ابن آدم في الدنيا ينافس فيها وبها قرير العين، إذ دعاه الله بقدره، ورماه بيوم حتفه، فسلبه آثاره ودنياه، وصير لقوم آخرين مصانعه ومغناه، إن الدنيا لا تسر بقدر ما تضر، إنما تسر قليلا، وتجر حزنا طويلا»⁽¹⁰¹⁾.

وعن أبي عبيدة سعيد بن رزين رحمه الله قال: سمعت الحسن، يعظ أصحابه يقول: «إن الدنيا دار عمل من صحبها بالنقص لها والزهادة فيها سعد بها، ونفعته صحتها ومن صحبها على الرغبة فيها والمحبة لها شقي بها وأجحف بحظه من الله عز وجل ثم أسلمته إلى ما لا صبر له عليه ولا طاقة له به من عذاب الله فأمرها صغير ومتاعها قليل والفناء عليها مكتوب والله تعالى ولي ميراثها وأهلها محولون عنها إلى منازل لا تبلى ولا يغيرها طول الزمن»⁽¹⁰²⁾.

وعن سعيد بن المسيب رحمه الله، قال: «إن الدنيا ندلة وهي إلى كل نذل أميل وأندل منها من أخذها بغير حقها وطلبها بغير وجهها ووضعها في غير سبيلها»⁽¹⁰³⁾.

وعن أبي حازم سلمة بن دينار، قال: «ما الدنيا؟ ما مضى منها، فحل، وما بقي منها، فأما»⁽¹⁰⁴⁾.

فهذه وغيرها كثير مواعظ في الزهد في الدنيا والتخفف منها، ومن متاعها الزائل، واعتبارها طريقا للآخرة وليست دار قرار.

2. نشر القيم والأخلاق الحميدة:

وقد يطلق بعضهم على هذا النوع من الوعظ: وعظ التأديب: وهو يكون بتحديد القيم والأخلاق الحسنة: كالحلم، والأناة، والشجاعة، والصدق، والوفاء، والصبر، والكرم، وخوف الله وخشيته، والتوكل عليه، وبيان آثارها ومنافعها في المجتمع، والحث على التخلق بها والتزامها ظاهرا وباطنا، وتعريف وتحديد الأخلاق السيئة: كالغضب، والعجلة، والغدر، والجزع، والجبن، والبخل، والكذب. والتحذير عن الاتصاف بها من طريق الترغيب والترهيب⁽¹⁰⁵⁾.

وكثيرا ما يجمع الواعظ هذه القيم في وعظته؛ لأنها متلازمة ولا ينفك بعضها عن بعض، وهذه القيم منها ما يختص بتهذيب الجوارح، ومنها ما يختص بتهذيب النفس، ومنها ما هو جامع شامل.

والوعظ في باب القيم منه ما هو مباشر في الدعوة إلى إعمال القيم في الحياة، ومنه ما يبين أسس العمل بالقيم وأصول التعامل معها.

ومنه ما جاء عن عون بن عبد الله رحمه الله، أنه كان يكتب بهذه: «أما بعد، فإني أوصيك بوصية الله التي حفظها سعادة لمن حفظها، وإضاعته شقاوة لمن ضيعها، ورأس التقوى الصبر، وتحقيقها العمل، وكما لها الورع، وأن تقوى الله شرطه الذي اشتراط، وحقه الذي افترض، والوفاء بعهد الله أن يجعل له ولا تجعل لمن دونه، فإنما يطاع من دونه بطاعته، وإنما تقدم الأمور وتؤخر بطاعته، وأن ينقض كل عهد للوفاء بعهد، ولا ينقض عهده للوفاء بعهد غيره. هذا إجماع من القول، له تفسير لا يبصره إلا البصير، ولا يعرفه إلا اليسير»⁽¹⁰⁶⁾.

يا معشر القراء فهو والله أخسه عند الله، الزهد في حلال الله عز وجل»⁽⁹⁴⁾. وهذا الأخير يقصد أنه ينافي حقيقة الزهد؛ وذلك أن الله لا يحب أن يترك العبد طلب الرزق تزهدا، وليس ذلك من الزهد، ولذلك نبه السخيتاني إلى كره الله له.

وهذا ما أكد عليه الإمام أبو حازم سلمة بن دينار رحمه الله فيما رواه عنه عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، قال: قلت لأبي حازم: «إني لأجد شيئا يحزنني. قال: وما هو يا ابن أخي؟ قلت: حيي للدنيا. قال: اعلم أن هذا لشيء ما أعاتب نفسي على بعض شيء حبه الله إلي؛ لأن الله قد حبب هذه الدنيا إلينا، لتكون معاتبنا أنفسنا في غير هذا، ألا يدعوننا حبها إلى أن نأخذ شيئا من شيء يكرهه الله، ولا أن نمنع شيئا من شيء أحبه الله، فإذا فعلنا ذلك لم يضرنا حبا إياها»⁽⁹⁵⁾. وهذه معناه أن حب الدنيا ومتاعها ليس مذموما على إطلاقه.

فالزهد الحقيقي أن يتجنب المرء الحرام ويشغل بالهلال، وأن لا يجعل الدنيا وحبا تسيطر عليه، ولقد قيل إن خير الزهد المشروع أن يترك الإنسان ما هو قادر على تحصيله من متاع الدنيا انشغالا بما هو خير في الآخرة ورغبة فيما عند الله عز وجل. ومن هنا قال مالك بن دينار: «الناس يقولون: مالك بن دينار زاهد، إنما الزاهد عمر بن عبد العزيز الذي أتته الدنيا فتركها»⁽⁹⁶⁾.

وعن أبي حازم سلمة بن دينار رحمه الله، قال: «نعم الله فيما زوى عني من الدنيا، أعظم من نعمته فيما أعطاني منها، لأني رأيت أعطاه قوما فهلخوا»⁽⁹⁷⁾.

فهذه خلاصة من فقه الزهد ينبغي أن يدركها المرء وهو يتعامل مع نصوص الزهد عملا ودعوة، بينتها مواعظ الواعظين في العصر الأموي.

(ب) الحث على الزهد بالوعظ المباشر:

وهو كثير، يصعب استيعابه في هذا المقام، ومنه ما جاء عن الحسن البصري رحمه الله، أنه قال في وعظه: «والله لقد أدركت سبعين بدريا أكثر لباسهم الصوف ولو رأيتهم قلمت: مجانين، ولو رأوا خياركم لقالوا: ما هؤلاء من خلاق، ولو رأوا شراركم لقالوا: ما يؤمن هؤلاء بيوم الحساب، ولقد رأيت أقواما كانت الدنيا أهون على أحدهم من التراب تحت قدميه، ولقد رأيت أقواما يمسى أحدهم وما يجد عنده إلا قوتا فيقول لا أجعل هذا كله في بطني، لأجعل بعضه لله عز وجل، فيتصدق ببعضه وإن كان هو أحوج ممن يتصدق به عليه»⁽⁹⁸⁾.

فهذه موعظة تركز على الزهد في الدنيا، وتحث على اتباع نهج السلف الصالح في الزهد. وكان الحسن رحمه الله يقول: «أهينوا هذه الدنيا فوالله لأهنا ما تكون إذا أهنتموها»⁽⁹⁹⁾، ويزيد بن حميد، أبو التياح الضبعي البصري، (ت130هـ) أحد العلماء الزهاد أنه قال: والله إن كان ينبغي للمسلم اليوم لما يرى من التهاون في الناس بأمر الله أن يزيده ذاك جدا واجتهادا، ثم بكى⁽¹⁰⁰⁾.

وخطب عمر بن عبدالعزيز رحمه الله يوما فقال في خطبته: «ألا إن الدنيا بقاؤها قليل، وعزيزها ذليل، وغنيها فقير، وشبابها يهرم، وحيها يموت، فلا يغرنكم إقبالها مع معرفتكم بسرعة إدبارها، والمغرور من اغتر بها، أين سكانها الذين بنوا مدائنهم، وشققوا أثمارها، وغرسوا أشجارها، وأقاموا فيها أياما يسيرة، غرهم

(94) حلية الأولياء، الأصبهاني (7/3).

(95) سير أعلام النبلاء، الذهبي (96/6).

(96) ابن حنبل، عبد الله بن أحمد، «السنن»، تحقيق: محمد الفحطاني، (ط1، الدمام، دار ابن القيم، 1406هـ)، (119/1).

(97) سير أعلام النبلاء، الذهبي (98/6).

(98) حلية الأولياء، الأصبهاني (133/2-134).

(99) الطبقات الكبرى، ابن سعد (124/7).

(100) تاريخ الإسلام، الذهبي (563/3).

(101) ينظر: حلية الأولياء، الأصبهاني (261/5).

(102) حلية الأولياء، الأصبهاني (140/2).

(103) حلية الأولياء، الأصبهاني (170/2).

(104) سير أعلام النبلاء، الذهبي (99/6).

(105) الفحطاني، سعيد، «الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى»، (ط1، الرياض، وزارة الشؤون الإسلامية، 1423هـ)، (ص: 484).

(106) حلية الأولياء، الأصبهاني (244/4).

3. التذكير بالآخرة:

والوعظ في هذا كثير، حتى إنه لا تكاد تخلوا موعظة من هذا، والمواعظ في هذا الباب تتنوع بين التشويق إلى الآخر، وبين مقارنة الدنيا بالآخرة وأنها لا تساوي شيئاً بالنسبة للآخرة، فهي الأصل وهي دار القرار، وأنها هي التي ينبغي أن يعمل لها الإنسان.

ومن المواعظ في هذا الباب:

ما جاء عن الحسن البصري رحمه الله، أنه قال: «حق لمن يعلم أن الموت مورده وأن الساعة موعده وأن القيام بين يدي الله تعالى مشهده أن يطول حزنه»⁽¹¹⁴⁾.

وقال معاذ بن زياد رحمه الله: «سمعت عبد الواحد بن زيد غير مرة يقول: ما يسرني أن لي جميع ما حوته البصرة بفلسين. وعن رجل، قال: وعظ عبد الواحد، فنأدى رجل: كف، فقد كشفت قناع قلبي. فما التفت، ومر في الموعظة، فحشر الرجل ومات، فشهدت جنازته»⁽¹¹⁵⁾.

وعن عون بن عبد الله رحمه الله، قال: «إن من كان قبلكم كانوا يجعلون للدنيا ما فضل عن آخرتهم، وإنكم اليوم تجعلون لآخرتكم ما فضل عن دنياكم»⁽¹¹⁶⁾.

وعن مالك بن دينار رحمه الله، أنه كان يقول: «اتقوا السحارة فإنها تسحر قلوب العلماء»، يعني الدنيا⁽¹¹⁷⁾.

وعن بلال بن سعد رحمه الله، أن قال في موعظة: «يا أهل التقى، إنكم لم تخلقوا للفناء، وإنما تنقلون من دار إلى دار، كما نقلتم من الأصلاب إلى الأرحام، ومن الأرحام إلى الدنيا، ومن الدنيا إلى القبور، ومن القبور إلى الموقف، ومن الموقف إلى الخلود في جنة أو نار، وقال الأوزاعي: سمعت بلال بن سعد يقول: لا تنظر إلى صغر الخطيئة، ولكن انظر من عصيت»⁽¹¹⁸⁾.

وعن أبي حازم، قال: «ما أحببت أن يكون معك في الآخرة، فاتركه اليوم. وقال: انظر كل عمل كرهت الموت من أجله، فاتركه، ثم لا يضرك متى مت. وقال: يسير الدنيا يشغل عن كثير الآخرة. وعنه: ما الدنيا؟ ما مضى منها، فحلّم، وما بقي منها، فأمان»⁽¹¹⁹⁾.

ومن تذكير عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - الناس بالآخرة: أنه خطب ذات يوم فقال: «إني لم أجمعكم لأمر أحدتته، ولكني نظرت في أمر معادكم وما أتمم إليه صائرون فوجدت المصداق به أحق، والمكذب به هالكاً». ثم نزل⁽¹²⁰⁾.

وهذه الخطبة البليغة على قصرها، فيها تذكرة ناصعة بمصير الإنسان بعد الموت، فمن يؤمن بالبعث والجزاء ثم لا يعد العدة لذلك اليوم فهو غافل إذ لم يستعمل عقله في الإعداد لمستقبله بعد الموت مع إيمانه بما سيكون فيه.

ومن خطبه في تذكير الناس بالموت والآخرة، فقد بين عمر في بعض خطبه أن الإنسان خلق للأبد ولكنه من دار إلى دار قال عمر رضي الله عنه: «إنما خلقتكم للأبد، ولكنكم من دار إلى دار تنقلون». وقال في إحدى خطبه: «يا أيها الناس، لا تغرنكم الدنيا والمهله فيها، فعن قليل عنها تنقلون وإلى غيرها ترحلون،

فهذا من الوعظ المباشر في العمل بالقيم وتفعيلها في الحياة، وهو في قيمة جامعة، هي خشية الله في السر والعلن.

وروي عن مالك بن دينار رحمه الله أنه كان يقول في دعائه: «اللهم أقبل بقلوبنا إليك حتى نعرفك حسناً، وحتى نرعى عهدك وحتى نحفظ وصيتك حسناً، اللهم سوّمنا سيما الأبرار وألبسنا لباس التقوى، اللهم إنا نتوب إليك قبل الممات ونلقي بالسلام قبل اللزام، اللهم انظر إلينا منك نظرة تجمع لنا بها الخير كله، خير الآخرة وخير الدنيا»، ثم يقف مالك عند كلامه هذا ويقول: «يحسبون أي أعني بخير الدنيا والدينار والدرهم، لا إنما أعني العمل الصالح حتى ألقاك وأنت عنا راض رغبة ورهبة إليك يا إله السماء وإله الأرض»، ثم يبكي بكاء خفيفاً فنبكي معه⁽¹⁰⁷⁾.

وكان يقول: «من تباعد من زهرة الدنيا، فذاك الغالب هواه»، وقال: «وددت أن رزقي في حصاة أمتصها، لا ألتمس غيرها حتى أموت»، وقال: «مذ عرفت الناس لم أفرح بمدحهم، ولم أكره ذمهم؛ لأن حامدهم مفطر، وذامهم مفطر، إذا تعلم العالم العلم للعمل، كسره، وإذا تعلمه لغير العمل، زاده فخراً»⁽¹⁰⁸⁾.

ومالك بن دينار رحمه الله بكلامه السابق يشير إلى أن مصدر الالتزام إنما هو من قبل الله، فهو الثابت والموفق، وبين أن من أجل القيم: حفظ عهد الله والتمسك بالتقوى والمبادرة بالتوبة والإنابة.. واستمرار العمل الصالح، كما يشير إلى نظرته للدنيا ويكشف عن قيمة الزهد، وحال الناس مدحاً وذمماً، وأثر تعلم العلم للعمل على شخصية العالم، وترفعه عن الفخر وهي قيمة سلبية.

وعن سعيد بن جبير رحمه الله، قال: «التوكل على الله جماع الإيمان»، وكان يدعو فيقول: «اللهم إني أسألك صدق التوكل عليك، وحسن الظن بك»⁽¹⁰⁹⁾.

وعنه أيضاً، أنه كان يقول: «إن الخشية أن تخشى الله حتى تحول خشيتك بينك وبين معصيتك، فتلك الخشية، والذكر طاعة الله، فمن أطاع الله، فقد ذكره، ومن لم يطعه، فليس بذاكر، وإن أكثر التسييح وتلاوة القرآن»⁽¹¹⁰⁾. وفي هذا توجيه إلى تأثير القيم في واقع الشخص وحياته.

وقال أبو حازم سلمة بن دينار رحمه الله: «انظر الذي يصلحك فاعمل به، وإن كان فساداً للناس، وانظر الذي يفسدك فدعه، وإن كان صلاحاً للناس».

وعنه أيضاً، قال: «شيطان إذا عملت بهما، أصبت خير الدنيا والآخرة، لا أطول عليك. قيل: ما هما؟ قال: تحمل ما تكره إذا أحبه الله، وتترك ما تحب إذا كرهه الله»⁽¹¹¹⁾. وهاتان الموعظتان من أبي حازم في أصول ومجامع القيم وركائزها.

وعن مطر الوراق رحمه الله، قال: «لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه بميزان التبرص لم يوجد أحدهما يزيد على صاحبه شيئاً»⁽¹¹²⁾. وهذا معناه: أن على المؤمن الصادق أن يعيش بين الخوف والرجاء فلا يغلب أحدهما على الآخر.

وعن ثابت البناني رحمه الله، أنه قال: «نية المؤمن أبلغ من عمله، إن المؤمن ينوي أن يقوم الليل ويصوم النهار ويخرج من ماله فلا يتابعه نفسه على ذلك فنيته أبلغ من عمله»⁽¹¹³⁾. والمعنى: أن يعيش المؤمن بنية صالحة على الدوام، فذلك من مجامع القيم.

(114) حلية الأولياء، الأصبهاني (133/2 - 134).

(115) سير أعلام النبلاء، الذهبي (179/7).

(116) المزني، يوسف بن عبد الرحمن، «تهذيب الكمال، في أسماء الرجال»، تحقيق: بشار معروف، (ط1)، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1980م، (459/22).

(117) صفة الصفوة، ابن الجوزي (283/3).

(118) سير أعلام النبلاء، الذهبي (91/5).

(119) سير أعلام النبلاء، الذهبي (98/6 - 99).

(120) سيرة عمر بن عبد العزيز، ابن عبد الحكم (ص: 41).

(107) حلية الأولياء، الأصبهاني (359/2، 360).

(108) سير أعلام النبلاء، الذهبي (362/5، 365).

(109) سير أعلام النبلاء، الذهبي (325/4).

(110) سير أعلام النبلاء، الذهبي (276/4).

(111) سير أعلام النبلاء، الذهبي (98/6).

(112) حلية الأولياء، الأصبهاني (76/3).

(113) حلية الأولياء، الأصبهاني (327/2).

للعظ دور مهم في مواجهة الانحلال الخلقي في المجتمع، حيث يقع على عاتق الوعاظ والدعاة عبء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ بالإضافة على التركيز على تمثل قيم الاجتماع البشري التي تحفظ تنوع المجتمع وسلامته وتؤدي إلى تقدمه وتطوره.

ومن فقه عمر بن عبد العزيز رحمه الله أنه كان يصرف كبير اهتمامه إلى إصلاح المجتمع والعمل على إزالة ما يتفشى فيه من المنكرات، وقد كتب في ذلك إلى أحد ولاته كتاباً طويلاً بليغاً، فورد بعض فقراته للأهمية وعظيم الفائدة، وفيه يقول: «أما بعد فإنه لم يظهر المنكر في قوم قط ثم لم ينههم أهل الصلاح منهم إلا أصابهم الله بعذاب من عنده ... أو بأيدي من يشاء من عباده، ولا يزال الناس معصومين من العقوبات والْتِقَمَات ما قمع فيهم أهل الباطل، واستخفي فيهم بالمحارم، فلا يظهر من أحد منهم محرّم إلا انتقموا ممن فعله، فإذا ظهرت فيهم المحارم فلم ينههم أهل الصلاح نزلت العقوبات من السماء إلى الأرض على أهل المعاصي والمداينين لهم، ولعل أهل الإدهان أن يهلكوا معهم وإن كانوا مخالفين لهم»⁽¹²⁶⁾.

ولقد اهتم عمر بن عبد العزيز رحمه الله بإعلاء شأن الفضائل ونشرها، ومحاربة الرذائل، وتحركت معه مدرسة الوعظ والإرشاد والتربية والتي كان من روادها الحسن البصري، وأيوب السخيتاني، ومالك بن دينار وغيرهم، وقد حققت هذه المدرسة الوعظية نتائج عظيمة في نشر الفضائل وانحسار الرذائل، وقد حدث في عهد عمر بن عبد العزيز تجديد كبيراً في توجه الأمة والمجتمع الإسلامي والتطور في الأدواق والأخلاق والميول والرغبات في هذه المدة القصيرة.

ومن أعظم عوامل تأثير الحسن البصري رحمه الله على المجتمع في وقته، ونفوذ مواعظه إلى القلوب والعقول، أنه غاص بوعظه في أعماق المجتمع، ووصف أمراضه، وانتقده انتقاد الحكيم الرفيق، والناصح الشفيق، لقد كان عصره يغص بالدعاة والوعاظ، ولكن المجتمع لم يتأثر لأحد كآثره بالحسن، لأنه كان يمس شغاف قلبه وينزل في صميم الحياة.

ومن الوعظ في الحث على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كقول الحسن رحمه الله: «لقد أدركت أقواماً كانوا أمر الناس بالمعروف وآخذهم به وأنهى الناس عن منكر، وأتركهم له ولقد بقينا في أقوام أمر الناس بالمعروف وأبعدهم منه وأنهى الناس عن المنكر، وأوقعهم فيه فكيف الحياة مع هؤلاء؟»⁽¹²⁷⁾.

فهو يحذر من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وعن بلال بن سعد رحمه الله قال: «أدركت الناس يتحاثون على الأعمال الصالحة: الصلاة، والصيام، والزكاة، وفعل الخير، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وأتم اليوم يتحاثون على الرأي»⁽¹²⁸⁾.

فهذه بعض أخبارهم الوعاظ في الحث على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأخبارهم في الأمر والنهي المباشر كثيرة.

وما يذكر من الوعظ في التذكير بقيم الاجتماع البشري القيم الآتية:

حسن الخلق مع الناس، فعن أبي حازم سلمة بن دينار رحمه الله، قال: «السيئ الخلق أشقى الناس به نفسه التي بين جنبيه، هي منه في بلاء، ثم زوجته، ثم ولده، حتى إنه ليدخل بيته، وإنهم لفي سرور، فيسمعون صوته، فينفرون عنه فرقا منه، وحتى إن دابته تحيد مما يرميها بالحجارة، وإن كلبه ليراه فينزع على الجدار، حتى إن قطه ليفر منه»⁽¹²⁹⁾.

النهي عن سوء الظن: قال بكر بن عبد الله رحمه الله: «إياك من الكلام، ما إن أصبت فيه لم توجر، وإن أخطأت توزر، وذلك سوء الظن بأخيك»⁽¹³⁰⁾.

فإن الله عباد الله في أنفسكم فيبادروا بها الفوت قبل حلول الموت، ولا يطل بكم الأمد، فتفقدوا قلوبكم فتكونوا كقوم دعوا إلى حظهم فقصرنا عنه بعد المهلة، فندموا على ما قصرنا عند الآخرة»⁽¹²¹⁾.

وقد تحدث عمر بن عبد العزيز رحمه الله عن الموت والآخرة والاستعداد للقاء الله كثيراً في خطبه ومواعظه رحمه الله، وكانت آخر خطبة خطبها بخصاصة، فقال فيها: «أيها الناس، إنكم لم تخلقوا عبثاً ولن تتركوا سدى، وإن لكم معاداً ينزل الله فيه للحكم فيكم، والفصل بينكم وقد خاب وخسر من خرج من رحمة الله التي وسعت كل شيء وحرمت الجنة التي عرضها السماوات والأرض، ألا وأعلموا أنما الأمان غداً لمن حذر الله وخافه، وباع نافذاً بباقي، وقليلاً بكثير وخوفاً بأمان ألا ترون أنكم في أسلاب الهالكين، وسيخلفها بعدكم الباقيون كذلك حتى ترد إلى خير الوارثين؟ وفي كل يوم تشيعون غداً ورائحاً إلى الله قد قضى نحبك وانقضى أجله»⁽¹²²⁾.

4. تصحيح المفاهيم الخاطئة:

ومنه التوجيه إلى اتباع السنة، جاء عن عمر بن عبد العزيز في إحدى خطبه، قال: «أما بعد أيها الناس فلا يطولن عليكم الأمد، ولا يبعدن عليكم يوم القيامة، فإن من وافته منيته فقد قامت قيامته، لا يستعجب من شيء ولا يزيد في حسن، ألا لا سلامة لا مرئ في خلاف السنة، ولا طاعة لمخلوق في معصية الله، ألا وإنكم تعدون المحارب من ظلم إمامه عاصياً، ألا وأن أولاهما بالمعصية الإمام الظالم، ألا وإني أعالج أمراً لا يعين عليه إلا الله، قد فني عليه الكبير، وكبر عليه الصغير، وفصح عليه الأعجمي، وهاجر عليه الأعراي، حتى حسبوه ديناً لا يرون الحق غيره ثم قال: إنه لحبيب علي أن أوفر أموالكم وأعراضكم إلا بحقها ولا قوة إلا بالله»⁽¹²³⁾.

ومنه: في تقويم الأعمال وتقديرها بقدرها: كما جاء أيضاً عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله، أنه صعد المنبر فقال: «يا أيها الناس اتقوا الله فإن في تقوى الله خلفاً من كل شيء دونه. وليس لتقوى الله خلف. يا أيها الناس اتقوا وأطيعوا من أطاع الله ولا تطيعوا من عصى الله»⁽¹²⁴⁾.

والموازنة بين الموعظة والصدقة، كما ورد عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله، أيضاً، أنه كتب إلى محمد بن كعب القرظي: «أما بعد فقد بلغني كتابك تعظني وتذكر ما هو لي حظ وعليك حق، وقد أصبت بذلك أفضل الأجر، إن الموعظة كالصدقة بل هي أعظم أجراً وأبقى نفعاً وأحسن ذخراً وأوجب على المرء المؤمن حقاً، لكلمة يعظ بها الرجل المؤمن أخاه ليزداد بها في هدى رغبة خير من مال يتصدق به عليه وإن كان به إليه حاجة، ولما يدرك أخوك بموعظتك من الهدى خير مما ينال بصدقتك من الدنيا، ولأن ينجو رجل بموعظتك من هلكة خير من أن ينجو بصدقتك من فقر، فعظ من تعظه لقضاء حق عليك واستعمل كذلك نفسك حين تعظ، وكن كالطبيب المجرّب العالم الذي قد علم أنه إذا وضع الدواء حيث لا ينبغي أعنته وأعنت نفسه، وإذا أمسكه من حيث ينبغي جهل وأثم، وإذا أراد أن يداوي مجنوناً لم يداوه وهو مرسل حتى يستوثق منه ويوثق له، خشية أن لا يبلغ منه من الخير ما يتقي منه من الشر»⁽¹²⁵⁾.

ثانياً: الوعظ الاجتماعي:

وهذا النوع من الوعظ كان ظاهراً في مواعظ الوعاظين في العصر الأموي، وبخاصة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتركيز على قيم الاجتماع البشري.

(121) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم، (ص: 170).

(122) الطبري، محمد بن جرير، «تاريخ الرسل والملوك»، (ط2، بيروت، دار التراث، 1387هـ)، (6/571).

(123) حلية الأولياء، الأصبهاني (325/5).

(124) الطبقات الكبرى، ابن سعد (289/5).

(125) سيرة عمر بن عبد العزيز، ابن عبد الحكم (ص: 117).

(126) سيرة عمر بن عبد العزيز، ابن عبد الحكم (ص: 143).

(127) حلية الأولياء، الأصبهاني (155/2).

(128) حلية الأولياء، الأصبهاني (224/5).

(129) سير أعلام النبلاء، الذهبي (99/6).

(130) سير أعلام النبلاء، الذهبي (535/4).

ومن هذا الباب: ما جاء في رسالة الحسن البصري رحمه الله التي كتبها إلى عمر بن عبد العزيز رحمه الله، يتحدث عن الإمام العادل، فقال: «أعلم يا أمير المؤمنين: أن الله جعل الإمام العادل قوام كل مائل وقصد كل جائر، وصلاح كل مفسد، وقوة كل ضعيف ونصفة كل مظلوم، ومفرج كل ملهوف. والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالراعي الشفيق على إبله، الرفيق الذي يرتاد لها أطيب المرعى، ويزودها عن مراتع الهلكة، ويحميها من السباع، ويكنفها من أذى الحر والقر. والإمام العادل، يا أمير المؤمنين، كالأب الحاني على ولده، يسعى لهم صغيراً، ويعلمهم كباراً، يكتسب لهم في حياته، ويدخر لهم بعد مماته. والإمام العادل، يا أمير المؤمنين، كالأم الشفيقة البرة الرفيقة بولدها: حملته كرهاً ووضعته كرهاً، وربته طفلاً تسهر بسهره، وتسكن بسكونه، ترضعه تارة، وتقطمه أخرى، وتفرح بعافيته، وتغتم بشكايته. والإمام العادل، يا أمير المؤمنين وصي اليتامى، وخازن المساكين: يربي صغيرهم، ويمون كبيرهم، والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالقلب بين الجوانح: تصلح الجوانح بصلاحه وتفسد بفساده، والإمام العادل، يا أمير المؤمنين، هو القائم بين الله وبين عباده، يسمع كلام الله ويسمعهم، وينظر إلى الله ويريههم، وينقاد إلى الله ويقودهم، فلا تكن يا أمير المؤمنين، فيما ملكك الله كعبد اتئمه سيده، واستحفظه ماله وعياله، فبدل المال وشر العيال، فأفقر أهله، وفرق ماله. وأعلم يا أمير المؤمنين إن الله أنزل الحدود ليزجر بها عن الخيائث والفواحش، فكيف إذا أتاه من يليها؟ وأن الله أنزل القصاص حياة لعباده، فكيف إذا قتلهم من يقتص لهم؟»⁽¹³⁷⁾

ومما يجيء في الوعظ السياسي: ما قيل: إن أبا مسلم قام إلى معاوية، فوعظه، وقال: إياك أن تميل على قبيلة، فيذهب حيفك بعدلك، وما رواه عطية بن قيس، قال: دخل أبو مسلم على معاوية، فقام بين السماطين، فقال: السلام عليك أيها الأمير. فقالوا: مه. قال: دعوه، فهو أعرف بما يقول، وعليك السلام يا أبا مسلم. ثم وعظه، وحثه على العدل⁽¹³⁸⁾.

وقد كان عمر بن عبد العزيز رحمه الله كثير الوعظ لعماله وولاته، ومن وعظه لبعض عماله، ما رواه يعقوب بن عبد الرحمن عن أبيه قال: كتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض عماله: «إن قدرت أن تكون في العدل والإحسان والإصلاح كقدر من كان قبلك في الجور والعدوان والظلم فافعل. ولا حول ولا قوة إلا بالله»⁽¹³⁹⁾.

وكتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله أيضاً: إلى أمير الأجناد: «من عبد الله عمر بن عبد العزيز أمير المؤمنين إلى أمير الأجناد أما بعد: فإنه من بلي بالسلطان تحضره مكاره كثيرة وبلايا عظام إن أغبته يوماً فهي حربة أن تحضره في اليوم الآخر وإنه ليس أحد بأشغل عن نفسه ولا أكثر تعرضاً لزيغ من ولي السلطان إلا ما عافى الله ورحم فاتق الله ما استطعت واذكر منزل الذي أنت به والذي حملت فقاتل هواك كما تقاتل عدوك.. ثم نهاه عن ترويع من يختصم إليه، وعن سوء استخدام السلطة، وأمره بالتحري وعدم الاستعجال في الأمر»⁽¹⁴⁰⁾.

وهناك جانب آخر يمكن اعتباره من الوعظ السياسي: وهو النهي عن الدخول في اقتتال المسلمين قتال فتنة، وعن المشاركة في ذلك القتال، ومن ذلك ما جاء عن الحسن البصري رحمه الله من وعظه الناس ليلزموا بيوتهم ولا يخرجوا للقتال من البصرة إلى الشام مع يزيد بن المهلب ابتغاء دنيا ومتاع زائل، حيث يقول: «أيها الناس، الزموا رحالكم وكفوا أيديكم، واتقوا الله مولاكم، ولا يقتل بعضكم بعضاً

التغافل عما في أيدي الناس، عن أيوب السخيتاني رحمه الله، قال: «لا يسود العبد حتى يكون فيه خصلتان: اليأس مما في أيدي الناس، والتغافل عما يكون منهم»⁽¹³¹⁾.

أن تحب للناس ما تحبه لنفسك، فعن طاووس بن كيسان رحمه الله، أنه سئل، فقال للسائل: «تريد أن أجمع لك في مجلسي هذا التوراة والإنجيل والزبور والفرقان؟ قلت: نعم. قال: «خف الله تعالى مخافة لا يكون عندك شيء أخوف منه، وارجه رجاء هو أشد من خوفك إياه، وأحب للناس ما تحب لنفسك»⁽¹³²⁾.

ولا شك أن قيم الاجتماع البشري أكثر من هذا، وإنما القصد التمثيل، وبعضها يدل للبعض الآخر.

ثالثاً: الوعظ السياسي:

والمقصود هنا بالوعظ السياسي، ما يتركز على الشؤون السياسية للدولة، ويدخل فيه النهي عن الظلم والحث على العدل، ورفع المظالم ونحو ذلك مما يلتصق بشؤون الدولة، مع مراعاة أن تكون النصيحة بين الطرفين دون تشهير، والتحلي بأدب الخطاب مع أولي الأمر، وأن يكون الواعظ الناصح ذا علم وبصيرة، عملاً بقوله صلى الله عليه وسلم: «الدين النصيحة» قلنا: لمن؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعاماهم»⁽¹³³⁾، والنصيحة لأئمة المسلمين: «حب صلاحهم، ورشدتهم، وعدلهم، وحب اجتماع الأمة عليهم، وكراهة افتراق الأمة عليهم، والتدين بطاعتهم في طاعة الله عز وجل، والبغض لمن رأى الخروج عليهم، وحب إعزازهم في طاعة الله عز وجل»⁽¹³⁴⁾.

ولعل من أوجه المواعظ السياسية، ما ورد عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله أنه لما ولي الخلافة صعد المنبر، فقال: «أيها الناس من صحبنا فليصحبنا بخمس، وإلا فلا يقرنا: يرفع إلينا حاجة من لا يستطيع رفعها، ويعيننا على الخير بجهده، ويدلنا على الخير وإلى ما نخشي إليه، ولا يغتاب عتدنا الرعية، ولا يعترض فيما لا نعينه،» ثم بين سياسته المالية والاقتصادية لرعاية الرعية والناس فقال: «وإن هذه الأمة لم تختلف في ربحها عز وجل ولا في نبيها ﷺ ولا في كتابها، وإنما اختلفوا في الدينار والدرهم، وإني والله لا أعطى أحداً باطلاً، ولا أمتع أحداً حقاً». ثم رفع صوته حتى أسمع الناس فقال: «يا أيها الناس، من أطاع الله وجبت طاعته، ومن عصى الله فلا طاعة له»⁽¹³⁵⁾.

وكان لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه جهود معاوية في ترسيخ ضبط الحاكم للوعاظ والقصاص؛ ما رواه ابن حجر من أن معاوية عندما كان والياً على الشام لعثمان أتى على كعب الأبحار التابعي، وهو يقصّ، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لا يقصّ على الناس إلا أمير أو مأمور أو متكلف)، فأمسك كعب عن القصص حتى أمره به معاوية⁽¹³⁶⁾.

وكانه بهذا الكلام قد حدد بعضاً من المبادئ التي ستقوم عليها سياسته في إدارة الحكم.

(131) تهذيب الكمال، المزي (361/13).

(132) سير أعلام النبلاء، الذهبي (47/5).

(133) مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري، النيسابوري، «صحيح مسلم»، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (ط1، القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، 1955م)، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة (74/1)، حديث (55).

(134) ابن رجب الحنبلي، زين الدين، أبو الفرج، عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي، «جامع العلوم والحكم»، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس، (ط7، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1997م)، (222/1).

(135) تاريخ دمشق، ابن عساکر (169/45).

(136) العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، «الإصابة في تمييز الصحابة»، تحقيق: عادل عبد الموجود، بالاشتراك، (ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1415هـ)، (483/5)، قال الألباني: صحيح، ينظر: الألباني، محمد ناصر الدين، «صحيح الجامع الصغير وزيادته»، (بيروت، المكتب الإسلامي)، (1280/2).

(137) الأندلسي، أبو عمر، أحمد بن محمد بن عبد ربه، «العقد الفريد»، (ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1404هـ)، (33/1).

(138) سير أعلام النبلاء، الذهبي (31/4).

(139) الطبقات الكبرى، ابن سعد (299/5).

(140) سيرة عمر بن عبد العزيز، ابن عبد الحكم (ص: 73).

ومنه: ما روي أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى رجل: «إنك إن استشعرت ذكر الموت في ليلك ونهارك، بغض إليك كل فان، وحجب إليك كل باق، والسلام»⁽¹⁴⁷⁾.

ودخل عليه رجل وبين يديه كانون فيه نار، فقال عظمي، قال يا أمير المؤمنين: «ما ينفعك من دخل الجنة إذا دخلت أنت النار، وما يضرك من دخل النار إذا دخلت أنت الجنة». قال فبكي عمر حتى طفئ الكانون الذي كان بين يديه من دموعه⁽¹⁴⁸⁾.

وكتب الحسن البصري إلى عمر بن عبد العزيز: «أما بعد فإن الأهوال العظام والمفطعات من الأمور كلها أمامك لم تقطع منها شيئاً بعد، ولا بد والله من معاينة ذلك ومشاهدته، فإما بالسلامة وإما بالعطب والسلام»⁽¹⁴⁹⁾.

ثانياً: أسلوب الوعظ بالشعر والنثر:

كثيراً ما كان يعظ الواعظون بالنثر ويخلطونه بالشعر، وقد يفردون أحدهما عن الآخر، «ومعروف أنه كان دائماً في صفوف المحاربين قصاص ووعاظ يحثونهم على الاستشهاد في سبيل الله، حتى يفوزوا برضوانه، ومن ثم تحولت بعض القطع الحماسية التي نظمت في خراسان إلى مواعظ خالصة، كقول نصر بن سيار⁽¹⁵⁰⁾:

دع عنك دنيا وأهلاً أنت تاركهم ... ما خير دنيا وأهل لا يدومونا

وأكثر تقى الله في الأسرار مجتهداً ... إن التقى خيره ما كان مكتوناً

واعلم بأنك بالأعمال مرتحن ... فكن لذاك كثير الهم محزوناً

وامنح جهادك من لم يرج آخرة ... وكن عدواً لقوم لا يصلوناً

فاقتلهم غضبا لله منتصراً ... منهم به، ودع المرتاب مفتوناً

وواضح أن نصراً يزهّد في الدنيا ومتاعها الفاني بما يذكر من هلاك الأهل، ويدعو إلى التقوى في السر والخفاء مذكراً باليوم الآخر وما ينبغي أن يتخذ له من ذخّر الجهاد والذبّ عن دين الله، وبيع النفس في محاربة أعدائه»⁽¹⁵¹⁾.

وعن خالد بن صفوان قال: وفدت على هشام بن عبد الملك، فقال: هات يا بن صفوان: قلت: إن ملكاً من الملوك خرج متنزلاً إلى الخورنق، وكان ذا علم مع الكثرة والغلبة، فنظر وقال لجلسائه: لمن هذا؟ قالوا: للملك، قال: فهل رأيتم أحداً أعطي مثل ما أعطيت؟ وكان عنده رجل من بقايا حملة الحجة، فقال: إنك قد سألت عن أمر، أفتأذن لي بالجواب؟ قال: نعم، قال: رأيته ما أنت فيه، شيء لم تزل فيه أم شيء صار إليك ميراً وهو زائل عنك إلى غيرك كما صار إليك؟ قال: كذا هو، قال: فتعجب بشيء يسير لا تكون فيه إلا قليلاً، وتنقل عنه طويلاً فيكون عليك حساباً؟ قال: ويحك فأين المهرب؟ وأين المطلب؟ وذكر له القصة، ثم قال: وفيه يقول عدي بن زياد العبّادي:

أيها الشامات المعير بالده ... ر أأنت المبرأ الموفور؟

أم لديك العهد الوثيق من الأ ... يام؟ بل أنت جاهل مغرور

من رأيت المتون خلدن أم من ... ذا عليه من أن يضام خفير؟

على دنيا زائلة وطمع فيها يسير، ليس لأهلها بباقي، وليس عنهم فيما اكتسبوا براص، إنه لم يكن إلا كان أكثر أهلها الخطباء، والسفراء والسفهاء، وأهل التيه والخيلاء، وليس يسلم منها إلا المجتهول الخفي، والمعروف التقى فمن كان منكم خفياً فليلزم الحق، وليحبس نفسه عما يتنازع الناس فيه من الدنيا، فكفاه والله بمعرفة الله إياه بالخير شرفاً، وكفى له بما من الدنيا خلفاً، ومن كان منكم معروفًا شريفاً، فترك ما يتنافس فيه نظراؤه من الدنيا إرادة الله بذلك، فواها لهذا! ما أسعده وأرشده وأعظم أجره وأهدى سبيله! فهذا غدا - يعني يوم القيامة - القرير عينا، الكريم عند الله مآباً»⁽¹⁴¹⁾.

المطلب الثاني: أساليب الوعظ في العصر الأموي:

وهذه الأساليب متنوعة، وأهمها:

أولاً: أسلوب الوعظ المباشر:

والمراد به تذكير الشخص أو الأشخاص بأمر معين بصورة مباشرة معهم، وهو وسائل تأثير الناجحة، ويكون عند بيان قبح فعل أو سلوك وبيان حكم الشرع الخفيف فيه.

ومن هذا ما كتبه الحسن البصري لعمر بن عبدالعزيز واصفاً له الدنيا: «أما بعد أعلم يا أمير المؤمنين أن الدنيا دار ظعن وليست بدار إقامة وإنما أبطط إليها آدم من الجنة عُقوبة وقد يحسب من لا يدري ما ثواب الله ألتها ثواب ومن لم يدرك ما عقاب الله ألتها عقاب ولها في كل حين سرعة وليست صرعة كصرعة هي تخين من أكرمها وتذل من أعزها وتصرع من اترها ولها في كل حين قتلى فهي كالسم يأكله من لا يعرفه وفيه حتفه فالزاد منها تركها والغنى منها فقرها فكن فيها يا أمير المؤمنين كالمداوي جرحه يصير على شدة الدواء مخافة طول البلاء يجتمعي قليلاً مخافة ما يكره طويلاً فان أهل الفضائل كان منطقم فيها بالصواب ومشيم بالتواضع مطعمهم الطيب من الرزق مغمضي أبصارهم عن المخارم فخوفهم في البر كخوفهم في البحر ودعاؤهم في السراء كدعائهم في الضراء لولا الأجل التي كتبت لهم ما تقاوت أزواجهم في أجسادهم خوفاً من العقاب وشوقاً إلى الثواب عظم الخالق في ثنوسهم فصغر المخلوق في أعينهم وأعلم يا أمير المؤمنين أن التفكير يدعو إلى الخير والعمل به وأن الندم على الشر يدعو إلى تركه»⁽¹⁴²⁾.

ومن هذا أيضاً: ما يروى عن الحسن البصري، وكان قد خرج من عند الوزير ابن هبيرة، فإذا هو بالقرء على الباب، فقال: «ما يجلسكم ها هنا، تريدون الدخول على هؤلاء الخبثاء، أما والله ما مجالستهم مجالسة الأبرار، تفرقوا، فرق الله بين أرواحكم وأجسادكم، قد فرطحتكم⁽¹⁴³⁾ نعالكم، وثمرتم ثيابكم، وجزتم شعوركهم⁽¹⁴⁴⁾، فضحتكم القراء، فضحككم الله، والله لو زهدتم فيما عندهم، لرغبوا فيما عندهم، ولكنكم رغبتم فيما عندهم، فزهدوا فيكم، أبعدهم الله من أبعده»⁽¹⁴⁵⁾.

ومن هذا: ما رواه عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، قال: «كنا نغازي عطاء الخراساني، وننزل متقاربين، فكان يحمي الليل، ثم يخرج رأسه من خيمته، فيقول: يا عبد الرحمن! يا هشام بن الغاز! يا فلان! قيام الليل، وصيام النهار أيسر من شرب الصديد، وليس الحديد، وأكل الزقوم، والنجاء النجاء»⁽¹⁴⁶⁾.

(141) تاريخ الرسل والملوك، الطبري (594/6).

(142) ينظر: الأجرى، محمد بن الحسين، «أخبار أبي حفص عمر بن عبد العزيز رحمه الله وسيرته»، تحقيق: عبد الله عيلان، (ط2)، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1980م، (ص: 79).

(143) الفرطحة: العرض والبسط. تاج العروس (15/7).

(144) بمعنى إحقاء الشوارب، كما في تاج العروس، الزبيدي (30/7).

(145) سير أعلام النبلاء، الذهبي (586/4).

(146) سير أعلام النبلاء، الذهبي (142/6).

(147) سير أعلام النبلاء، الذهبي (138/5).

(148) سيرة عمر بن عبد العزيز، ابن عبد الحكم (ص: 94).

(149) انظر: سيرة عمر بن عبد العزيز، ابن عبد الحكم (ص: 95).

(150) نصر بن سيار: من ولادة الأمويين الملعودين، كان يدعى شيخ مضى في خراسان، تولاها بأمر هشام بن عبد الملك، سنة 120هـ، وبقي والياً عليها حتى ظهور دعوة بني العباس. ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، «المعارف»، تحقيق: ثروت عكاشة، (ط2)، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، 1992م (ص: 409).

(151) ضيف، شوقي، «تاريخ الأدب العربي»، (ط1)، القاهرة، دار المعارف، 1960 - 1995م، (180/2).

إلى أن قال:

فارغوى قلبه، وقالك وما غب... طلة حتى إلى الممات يصير؟

ثم بعهد الفلاح والملك والأ... مة وارتموا هناك القبور

ثم طاروا كأنهم ورق ج... ف فألوت به الصبا والدبور

قال: فبكى هشام حتى اخضلت لحيته، وأمر بابتنيه وطي فرشه، ولزم قصره⁽¹⁵²⁾.

ومن مواضع الشعر، ما روي عن عمر بن عبد العزيز، من شعره، قال:

من كان حين تصيب الشمس جبهته... أو الغبار يخاف الشين والشعثا

ويألف الظل كي تبقى بشاشته... فسوف يسكن يوما راغما جدثا

في قعر مظلمة غبراء موحشة... يطيل في قعرها تحت الثرى اللبثا

تجهزي بجهاز تبلغين به... يا نفس قبل الردى لم تخلقي عبثا

ومما يروى له أيضا، قوله:

ولا خير في عيش امرئ لم يكن له... من الله في دار القرار نصيب

فإن تعجب الدنيا أناسا فإنها... متاع قليل والزوال قريب

ومما روي له أيضا:

أيقظان أنت اليوم؟ أم أنت نائم؟... وكيف يطيق النوم حيران هائم؟

فلو كنت يقظان الغداة، لخرقت... مدامع عينيك الدموع السواجم

تسرر بما يلي، وتفرح بالمئي... كما اغتر بالذات في اليوم حالم

نهارك يا مغرور سهو وغفلة... وليلك نوم والردى لك لازم

وسعيك فيما سوف تتركه غبه... كذلك في الدنيا تعيش البهائم⁽¹⁵³⁾

وكان عمر بن عبد العزيز يقرب من الشعراء من التزم شعر الزهد وذكر الموت

والخوف من الآخرة، ويبدو أن من أقرب الشعراء لقلب عمر سابق البربري،

فقد كان يعظ عمر بالشعر فيتأثر عمر ويكي، وعن ميمون بن مهران، قال:

«دخلت على عمر بن عبد العزيز يوما وعنده سابق البربري الشاعر وهو ينشد

شعرا، فانتهى في شعره إلى هذه الأبيات:

فكم من صحيح بات للموت آمناً... أته المنايا بغتة بعدما هجج

فلم يستطع إذ جاء الموت بغتة... فراراً ولا منه بقوتيه امتنع

فأصبح تبكيه النساء مُقْتَعاً... ولا يسمع الداعي وإن صوته رفع

وقرب من لحيد فصار مقيله... وفارق ما قد كان بالأمس قد جمع

قال ميمون بن مهران: فلم يزل عمر يبكي ويضطرب حتى غشي عليه فقمنا،

فانصرفنا عنه⁽¹⁵⁴⁾.

وعلى هذه الشاكلة كان الإسلام يؤثر في نفسية الشعراء، وانعكس هذا التأثير

على الموضوعات المختلفة التي نظموا فيها حتى وصف الصحراء، فإننا إذا قرأنا

(152) الدينوري، أحمد بن مروان (المتوفى: 333هـ)، «المجالسة وجواهر العلم»، تحقيق: مشهور

بن حسن آل سلمان، (بيروت، دار ابن حزم، 1419هـ)، (47/7).

(153) سير أعلام النبلاء، الذهبي (138/5).

(154) البيهقي، أحمد بن الحسين، «الزهد الكبير»، تحقيق: عامر حيدر، (بيروت، مؤسسة

الكتب الثقافية، 1987م)، (ص: 263)

هذا الوصف عند ذي الرمة أحسنا أن قلبه يمتلئ بالرحمة والشفقة والعطف
البالغ على الحيوانات.

وليس هذا كله جميع ما أثر به الإسلام في الشعر الأموي، فإنه فجر ينبوعاً،
كان قد أخذ يسيل منذ ظهور الإسلام على ألسنة بعض الشعراء، ولكن سيله
لم يبلغ ما بلغه في هذا العصر، ونقصد ينبوع الزهد وما يطوى فيه من الدعوة
للعمل الصالح... وتدفق على لسانهم هذا ينبوع الغزير، بحيث أصبح موضوعاً
قائماً بنفسه، وبحيث أخذ فريق من الشعراء الذين لم يعرفوا بزهد يستظهرون صوراً
إسلامية كثيرة في شعرهم، بل حتى نجد الفرزدق المستهتر ينظم قصيدة في إبليس
الرجيم. ولم يصطبغ الشعر وحده بالمثالية الدينية وما يرتبط بها من معان، فقد
جاراه الرجز في هذا الاصطباغ حتى لنجد رجلاً كثيراً يبدؤون أراجيزهم بحمد
الله، وقد يمضون فيتحدثون عن خلق السماوات والأرض، وكثيراً ما يضيفون
أدعية وابتهالات لربهم.

والحق أن الإسلام أثر أثراً واسعاً في نفوس الشعراء، وهو أثر مازال يتعمق نفراً
منهم حتى انقلبوا وعاظا يعظون الناس ويدكروهم باليوم الآخر، وما ينتظرهم من
الثواب والعقاب، وهم في أثناء ذلك يتحدثون عن الموت وما تحترق من قرون بعد
قرون، كما يتحدثون عن الدنيا ومتاعها الزائل مصوّرين طريق النجاة، وأنه يقوم
على التقوى، والعمل الصالح، ومجانبة كل خلق رديء من مثل: الكبر والبخل
والخيانة، والتحلي بكل خلق كريم من مثل: التواضع والجود والأمانة⁽¹⁵⁵⁾.

ثالثاً: أسلوب الوعظ بالقصص:

من أفضل أساليب الوعظ استعمال الأسلوب القصصي، وضرب الأمثال؛ لأن
النفس البشرية مجبولة على محبة القصص، والميل إليها، والانتباه إلى الأمثال، وربطها
بالواقع، وحفظها أكثر من غيرها من الأساليب، ولذلك أمر الله نبيه ﷺ بقص
القصص فقال تعالى: ﴿فَأَقْصَصْ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: 176].

ومهمة الداعية الواعظ نقل المستمع إلى حياة القصة التي يسردها، بحيث يتيح
له الاندماج التام في حوادثها، ويحمّله على المعيشة الكاملة معها. ولكن ينبغي
على الداعية إلى الله إذا تيسر له النجاح في سرد القصة أن ينظر في طرحه للقصة
من زاوية الفائدة والمصلحة، وهي كيفية توظيف هذه القصة في التأثير على
المدعوين بشكل سليم، ولا يكون القصد التأثير لأجل التأثير فقط⁽¹⁵⁶⁾.

ولكن الاقتصاد بالوعظ على القصص وحدها لا يصح؛ لأنه ليس مسلماً
سليماً، إلا إذا كانت هذه القصص مأخوذة من الكتاب والسنة فلا بأس،
والله تعالى قد قص علينا في كتابه الكريم قصصاً كثيرة لأخذ العبر منها، فقص
علينا قصص الأنبياء، وقصة أصحاب الكهف، وقصة مؤمن آل فرعون وغيرها،
وكذلك الرسول صلى الله عليه وسلم قص علينا قصصاً كثيرة، أما القصص من
غير الكتاب والسنة فلا يوعظ بها إلا عند الضرورة، وأشد من ذلك إذا كانت
هذه القصص مكذوبة ليس لها أصل ولا سند؛ وفي الحديث: «إن بني إسرائيل
لما هلكوا قصّوا»⁽¹⁵⁷⁾. «أي: لما هلكوا بترك العمل أخلدوا إلى القصص، وعولوا
عليها، واكتفوا بها، وفي رواية: «لما قصّوا هلكوا» أي: لما اتكلوا على القول

(155) تاريخ الأدب العربي، شوقي ضيف، (182/2).

(156) ينظر: الغزالي، «البصيرة في الدعوة إلى الله»، (ط1، أبو ظبي، دار الإمام مالك، 2005)، (ص: 104، 106).

(157) الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، «المعجم الكبير»، تحقيق: حمدي بن عبد الحميد السلفي، (ط2، القاهرة، مكتبة ابن تيمية، 1994م)، (80/4)، وقال الألباني: «صحيح»، ينظر: الألباني، محمد ناصر الدين، «سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها»، (ط1، مكتبة المعارف، الرياض، 1995م)، (247/4).

يطولن عليكم الأمد ولا يبعدن عليكم يوم القيامة، فإن من زافت به منيته⁽¹⁶⁴⁾ فقد قامت قيامته، لا يستعقب من سيئ ولا يزيد في حسن، ألا لا سلامة لامرئ في خلاف السنة، ولا طاعة لمخلوق في معصية الله»⁽¹⁶⁵⁾. وخطبه كثيرة.

وكثير من الوعظ يكون من على المنابر من خلال الخطب العامة، ومن خلال خطب الجمعة والمناسبات الشرعية، كالعيد وصلاة الاستسقاء.

المبحث الثالث: الفئات المستهدفة بالوعظ

المطلب الأول: الولاة والحكام:

من المعلوم أن «الأمة الإسلامية يقوم أمرها على صنفين من الناس: على العلماء، وعلى الأمراء، وهم أولو الأمر الذين قال الله عز وجل فيهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾» [النساء: 59]، قال المفسرون وغيرهم من أهل العلم: أولو الأمر منا: هم العلماء والأمراء، فالعلماء قادة الأمة بشريعة الله، والأمراء قادة الأمة بسلطان الله عز وجل، فلولا العلماء والأمراء ما استقامت الأمة؛ لأن العلماء يقودون الناس بالشرعية، والأمراء يقودون الناس بالسلطة والتنفيذ.

فإذا تكلم أحد في الأمراء، أو تكلم في العلماء بما يوجب عداوتهم، والخط من قدرهم فإن الأمة تضيق؛ لأنه لا يكون لها علماء تثق بأقوالهم فضيع الشريعة، وليس لديها أمراء تثق بتصرفاتهم فيضيع الأمن، ولهذا فمن الخطأ الفاحش ما يقوم به بعض الناس من الكلام على العلماء أو على الأمراء، فيملاً قلوب الناس عليهم بغضا وحقدا، وإذا رأى شيئا من هؤلاء؛ يرى أنه منكر، فالواجب عليه النصيحة، وليس الواجب عليه إفشاء هذا المنكر، أو هذه المخالفة⁽¹⁶⁶⁾.

ووعظ الولاة والحكام ذكرت جانباً من أمثلته فيما سبق، حيث كان بعض الوعاظ يدخلون على الولاة فيعظونهم ويذكرونهم. وقد اشتهر في هذا الباب من الوعظ عدد من الوعاظ، إما ملازمهم الولاة وكثرة دخولهم عليهم بالوعظ، وإما بمواقف محددة اشتهرت عنهم مع بعض الولاة، ومن ذلك:

ما جاء عن أبي مسلم الخولاني أنه كان ممن لا يجامل ولا يدهن، فقد كان يدخل على معاوية فيعظه، ويذكره بمسئوليته تجاه رعيته، ويحثه على أداء الحقوق والعدل، فقد دخل ذات يوم على معاوية فقال: السلام عليك أيها الأمير. فقال الناس: الأمير. فقال معاوية: دعوا أبا مسلم فهو أعلم بما يقول. قال أبو مسلم: «إنما مثلك مثل رجل استأجر أجيراً فولاه ماشيته، وجعل له الأجر على أن يحسن الرعية، ويوفر جزاها وألبانها، فإن أحسن رعيته ووفر جزاها حتى تلحق الصغيرة، وتسمن العجفاء، أعطاه أجره وزاده من قبله زيادة، وإن هو لم يحسن رعيته وأضاعها حتى تهلك العجفاء وتعصف السمينة ولم يوفر جزاها وألبانها غضب عليه صاحب الأجر فعاقبه ولم يعطه الأجر. فقال معاوية: ما شاء الله»⁽¹⁶⁷⁾. وقال شرحبيل بن مسلم: كان الولاة يقيمون بأبي مسلم، ويؤمرونه على المقدمات⁽¹⁶⁸⁾.

وتركوا العمل كان ذلك سبب إهلاكهم، وكيفما كان ففيه تحذير شديد من علم بلا عمل»⁽¹⁵⁸⁾.

وقال الألباني: «ومن الممكن أن يقال: إن سبب هلاكهم اهتمام وعظهم بالقصص والحكايات دون الفقه والعلم النافع الذي يعرف الناس بدينهم فيحملهم ذلك على العمل الصالح، لما فعلوا ذلك هلكوا. وهذا هو شأن كثير من قصاص زماننا الذين جل كلامهم في وعظهم حول الإسرائيليات والرقائق والصوفيات. نسأل الله العافية»⁽¹⁵⁹⁾.

وقد ذكرت سابقاً أن الواعظ يطلقون عليه القاص والوعظ القص، بسبب ارتباط الوعظ بالقصص كثيراً.

وقد كان معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه أول من ولى القصص بعد الصلاة، قال الليث بن سعد: «هما قَصَّان، قصص العامة، يجتمع إليه نفر من الناس يعظهم ويذكرهم. وقصص الخاصة وهو الذي أحدثه معاوية. ولى رجلاً على القصص، إذا سلم الإمام من صلاة الصبح، جلس فذكر الله وحده ومجده وصلى على نبيه وسلم، ودعا للخليفة وأهله ولأهل ولايته وجنوده. وعلى أهل حربه وعلى الكفار كافة»⁽¹⁶⁰⁾.

وهذا النص على قصره حوى أقسام القصص، وأوليائه، وأهدافه، ووقته. وفي المطلب السابق ذكرت موعظة خالد بن صفوان لهشام بن عبد الملك بقصة الخورنق. وكان مالك بن دينار يكثر من الوعظ بالقصص، وقد ذكر عن نفسه أنه كان مولعاً بالكتب ينظر فيها⁽¹⁶¹⁾، فكان كثيراً ما يعظ مما عنده منها، قال: «أوحى الله إلى نبي من الأنبياء أن قل لقومك لا تدخلوا مداخل أعدائي ولا تطعموا مطاعم أعدائي ولا تلبسوا ملابس أعدائي ولا تركبوا مركب أعدائي فتكونوا أعدائي كما هم أعدائي»⁽¹⁶²⁾.

ومثل مالك بن دينار كان صاحبه وصديقه ثابت البناني، فقد كان يعظ بالقصص كثيراً، ومن وعظه بذلك: ما روي عنه، أنه قال: «بلغنا أن العبد المؤمن يوقف يوم القيامة بين يدي الله عز وجل فيقول الله له: يا عبدي أكننت تعبدني فيمن يعبدني؟ قال: فيقول: يا رب نعم، قال فيقول: له أكننت تدعوني فيمن يدعوني؟ فيقول: يا رب نعم قال: فيقول له: أكننت تذكرني فيمن يذكرني؟ قال: يقول: يا رب نعم، قال: فيقول له: وعزتي ما ذكرتني في موطن قط إلا ذكرتك فيه، ولا دعوتني بدعوة قط إلا استجبتها لك»⁽¹⁶³⁾.

رابعاً: أسلوب الوعظ من خلال اعتلاء المنابر:

وقد كان من معالم الوعظ الخطبة على المنبر، أو على غير منبر، ولكن بسمت الخطابة، وسبق ذكر بعض ذلك عن بعض الوعاظ كالحسن البصري وعبد الواحد بن زيد. ومنه أيضاً ما جاء عن عمر بن عبد العزيز أنه كان يعظ الناس من على المنبر.

ومن ذلك: ما روي عنه أنه خطب الناس فقال: «أما بعد، أيها الناس فلا

(164) زاف الإنسان يزوف ويضاف زوفا وزوفا: استرخى في مشيته. وزاف الطائر في الهواء: حلق، والحمامة إذا نشرت جناحيها وذنبها على الأرض، وكذلك زوف الإنسان إذا مشى مسترخي الأعضاء. ابن منظور، محمد بن مكرم، «لسان العرب»، (ط3، بيروت، دار صادر، 1414هـ)، (142/9).

(165) سيرة عمر بن عبد العزيز، ابن عبد الحكم (ص: 42).

(166) العثيمين، محمد بن صالح، «لقاء الباب المفتوح»، الدرس (32)، الصفحة (10)، بترتيب الشاملة آلياً، وباختصار يسير جداً.

(167) تاريخ دمشق، ابن عساکر (223/27).

(168) سير أعلام النبلاء، الذهبي (13/4).

(158) المناوي، زين الدين محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي القاهري، «فيض القدير شرح الجامع الصغير»، (ط1، المكتبة التجارية الكبرى - مصر، 1356هـ)، (444/2).

(159) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، الألباني، (247/4).

(160) العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، «رفع الإصر عن قضاة مصر»، تحقيق: علي عمر، (ط1، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1998م)، (ص: 167).

(161) حلية الأولياء، الأصبهاني (375/2).

(162) حلية الأولياء، الأصبهاني (371/2).

(163) حلية الأولياء، الأصبهاني (324/2).

يديه، قلت: إن هذا المجلس يسألني الله عنه. فقلت: «يا أمير المؤمنين إن صحرة كانت على شفير جب في جهنم، هوت فيها سبعين خريفاً، حتى استقرت قرارها، أتدري لمن أعدها الله؟ قال: لا، ويلك لمن أعدها؟ قال: لمن أشركه الله في حكمه فجّاراً».

قال أبو عاصم النبيل: زعم لي سفيان، قال: جاء ابن لسليمان بن عبد الملك، فجلس إلى جنب طاووس، فلم يلتفت إليه، فقيل له: جلس إليك ابن أمير المؤمنين، فلم تلتفت إليه! قال: أردت أن أعلم أن الله عباداً يزهّدون فيما في يديه⁽¹⁷⁵⁾. وقيل: إن بعض الأمراء أرسل إلى أبي حازم، فأثاه وعنده الزهري، والإفريقي، وغيرهما، فقال: تكلم يا أبا حازم. فقال أبو حازم: «إن خير الأمراء من أحب العلماء، وإن شر العلماء من أحب الأمراء»⁽¹⁷⁶⁾.

ودخل عمر بن عبد العزيز على الوليد بن عبد الملك، فقال: «يا أمير المؤمنين إن عندي نصيحة، فإذا خلا لك عقلك واجتمع فهمك فسلني عنها، قال ما يمنعك منها الآن؟ قال أنت أعلم إذا اجتمع لك ما أقول، فإنك أحق أن تفهم. فمكث أياماً ثم قال يا غلام من الباب فقيل له ناس وفيهم عمر بن عبد العزيز. فقال أدخله، فدخل عليه، فقال نصيحتك يا أبا حفص. فقال عمر: «إنه ليس بعد الشرك إثم أعظم عند الله من الدم، وإن عمالك يقتلون ويكتبون إن ذنب فلان والمقتول كذا وكذا، وأنت المسؤول عنه والمأخوذ به فاكذب إليهم أن لا يقتل أحد منهم أحداً حتى يكتب إليك بذنبه، ثم يشهد عليه، ثم تأمر بأمرك على أمر قد وضح لك». قال بارك الله فيك يا أبا حفص ومنع فقدك، علي بكتاب فكتب إلى أمراء الأمصار كلهم»⁽¹⁷⁷⁾.

وقال مسلمة بن عبد الملك: «دخلت على عمر بن عبد العزيز بعد الفجر في بيت كان يخلو فيه فلا يدخل عليه أحد، فجاءت جارية بطبق تمر صيحاني، وكان يعجبه التمر، فرفع بكفيه فقال يا مسلمة أتري رجلاً لو أكل هذا ثم شرب عليه من الماء - فإن الماء على التمر يطيب - أكان يجزيه إلى الليل؟ فقلت لا أدري. فرفع أكثر منه، فقال: فهذا؟ فقلت نعم يا أمير المؤمنين كان كافية دون هذا حتى ما يبالي أن لا يذوق طعاماً غيره. قال: فعلام تدخل النار؟ قال مسلمة فما وقعت مني موعظة ما وقعت مني هذه»⁽¹⁷⁸⁾. وهذا باب واسع من المواعظ نكتفي منه بما ذكرته.

المطلب الثاني: العامة:

العامة هم سائر الناس غير الولاة والحكام. ووعظ العامة يتضمن الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والترغيب والترهيب، وتحدد ذلك الوقائع والمناسبات قال الليث بن سعد: «هما قصّان، قصص العامة، يجتمع إليه نفر من الناس يعظهم ويذكرهم. وقصص الخاصة وهو الذي أحدثه معاوية. ولى رجلاً على القصص، إذا سلم الإمام من صلاة الصبح، جلس فذكر الله وحده ومجّده وصلى على نبيه وسلم، ودعا للخليفة وأهله ولأهل ولايته وجنوده. وعلى أهل حربه وعلى الكفار كافة»⁽¹⁷⁹⁾.

وكان الوعاظ كثيراً ما يقيمون المجالس في المساجد أو في غيرها، فيحضرها العامة يستمعون للوعظ، وكثير من الأمثلة السابقة تأتي في إطار وعظ العامة، ومن أمثلة ذلك وعظ المقرئ ابن كثير المكي للعامة وقصصه للجماعة، كما حكى ذلك سفيان الثوري⁽¹⁸⁰⁾.

وعن سويد الكلبي أن زر بن حبيش كتب إلى عبد الملك بن مروان كتاباً يعظه فيه، فكان في آخر كتابه: «ولا يطعمنك يا أمير المؤمنين في طول الحياة ما يظهر من صحة بدنك، فأنت أعلم بنفسك، واذكر ما تكلم به الأولون».

إذا الرجال ولدت أولادها ... ولبيت من كبر أسجادهما

وجعلت أسقامها تعتادها ... فذلك زروع قد دنا حصادهما

فلما قرأ الكتاب بكى حتى بل طرف ثوبه، ثم قال: صدق زر ولو كتب إلينا بغير هذا كان أرفق⁽¹⁶⁹⁾.

وكان عمر بن هبيرة بن معاوية بن سكين الفزاري، ينوب ليزيد بن عبد الملك، فعزله هشام. وكان من رجال الكمال، ولي خراج العراق لابن الزبير، ووفد على عبد الملك، فوعظه، وكان يقال له: أسد قريش، قولاً بالحق، فصيحاً، صارماً، وكان أعرج، موثقاً⁽¹⁷⁰⁾.

وقد يكون بعض الوعاظ لصيقاً بوال من الولاة، كما هو حال عون بن عبد الله مع عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، ويدل لذلك ما روي عن جرير الشاعر، أنه قدم على عمر فطال مقامه بباب عمر بن عبد العزيز، ولم يلتفت إليه، فكتب إلى عون بن عبد الله، وكان خصيصاً بعمر:

يا أيها القارئ المرخي عمامته ... هذا زمانك إني قد مضى زمني

أبلغ خليفتنا إن كنت لاقية ... أني لدى الباب كالمصفود في قرن⁽¹⁷¹⁾

وكان عمر ابن عبد العزيز يطلب الموعظة مباشرة من البعض، ويستكتبها من آخرين، وقد أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن محمد بن كعب القرظي، قال: «دعاني عمر بن عبد العزيز، فقال: صف لي العدل، فقلت: بخ! سألت عن أمر جسيم، كن لصغير الناس أباً، وكبيرهم أبناً، وللمثل منهم أخاً، وللنساء كذلك، وعاقب الناس على قدر ذنوبهم، وعلى قدر أجسادهم، ولا تضربن لغضبك سوطاً واحداً فتعد من العادين»⁽¹⁷²⁾.

وعن الحسن البصري أيضاً، أنه كتب إلى عمر بن عبد العزيز: «اعلم أن التفكير يدعو إلى الخير والعمل به، والندم على الشر يدعو إلى تركه، وليس ما يفنى وإن كان كثيراً يعدل ما يبقى وإن كان طلبة عزيزاً...»، وهي موعظة طويلة تكلم فيها عن أمور كثيرة، في الزهد والعدل واتباع الحق والحظ على أبواب الخير والمسارة به⁽¹⁷³⁾.

وقد سبق أيضاً من اصطفاء عمر بن عبد العزيز لسابق البربري لوعظه من بين الشعراء.

وقد كان بعضهم ينتهز الفرصة لوعظ الولاة والأمراء، كما ورد عن زياد بن عثمان، أنه دخل على سليمان بن عبد الملك لما مات ابنه أيوب، فقال: «يا أمير المؤمنين إن عبد الرحمن بن أبي بكر كان يقول: من أحب البقاء فليوطن نفسه على المصائب»⁽¹⁷⁴⁾.

وكما ورد عن طاووس، وذلك سليمان بن عبد الملك، حج، فخرج حاجبه، فقال: إن أمير المؤمنين قال: ابغوا إلى فقيها أسأله عن بعض المناسك. قال: فمر طاووس، فقالوا: هذا طاووس اليماني. فأخذه الحاجب، فقال: أجب أمير المؤمنين، قال: أعفني، فأبى، ثم أدخله عليه. قال طاووس: فلما وقفت بين

(169) صفة الصفوة، ابن الجوزي (19/2).

(170) سير أعلام النبلاء، الذهبي (562/4).

(171) تاريخ الخلفاء، السيوطي (ص: 178).

(172) تاريخ الخلفاء، السيوطي (ص: 181).

(173) حلية الأولياء، الأصبهاني (134/2 - 135).

(174) تاريخ الخلفاء، السيوطي (ص: 171).

(175) سير أعلام النبلاء، الذهبي (42/5).

(176) سير أعلام النبلاء، الذهبي (101/6).

(177) سيرة عمر بن عبد العزيز، ابن عبد الحكم (ص: 119).

(178) سيرة عمر بن عبد العزيز، ابن عبد الحكم (ص: 138).

(179) رفع الإصر عن قضاة مصر، ابن حجر (ص: 167).

(180) ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (318/5، 319).

فلم يزل الرجل يقول: كف عنا يا أبا عبيدة فقد كشفت قناع قلبي، وعبد الواحد لا يقطع موعظته، حتى والله حشرج الرجل حشرجة الموت ثم خرجت نفسه، ثم مات، فقال: أنا والله شهدت جنازته يومئذ فما رأيت بالبصرة يوماً أكثر باكياً من يومئذ. ويقول مسمع بن عاصم: شهدت عبد الواحد يعظ، فمات في المجلس أربعة⁽¹⁸⁶⁾.

ومما يذكر هنا: أن الوعظ يعد وسيلة تربوية ودعوية، لا تراد لذاتها، وإنما تراد للتأثير والعمل، وقد يكون الوعظ هنا لشخص منفرد أو لجماعة مخصوصين: فمن الأول: ما روي أن أبا خالد، رجل من قريش، وكانت الخلفاء لا تردده عن حاجة، فأتى إلى عمر بن عبد العزيز فسأله حاجته، فقال عمر بن عبد العزيز: لا يجوز هذا، وردة عنها. فخرج مغضباً. فناداه عمر، فظن أنه قد بدا له في قضاء حاجته، فقال له يا أبا خالد، فرجع إليه، فقال له: «إذا رأيت شيئاً من الدنيا فأعجبك فاذكر الموت فإنه يقلله في نفسك، وإذا كنت في شيء من أمر الدنيا قد غمك ونزل بك فاذكر الموت فإنه يسهله عليك، وهذا أفضل من الذي طلبت»⁽¹⁸⁷⁾.

ومن هذا ما روي عن عمر بن ذر، أنه: «كان يبلغه أن ابن عياش يتكلم فيه، قال فخرج عمر ذات يوم فلقي ابن عياش فوقف معه فقال له: لا تغرق في شتمنا ودع للصالح موضعاً، فإننا لا نكافي أحداً عصى الله تعالى فينا بأكثر من أن نطيع الله فيه»⁽¹⁸⁸⁾.

ومن الثاني: ما روي عن مالك بن دينار: أنه سرق له مصحف فوعظ أصحابه فجعلوا يبكون، فقال: «كلنا نبكي فمن سرق المصحف؟»⁽¹⁸⁹⁾.

المطلب الثالث: النساء:

لما كانت النساء شقائق الرجال، فيلزم الوعظ في الأصل يشملهن، فهن مخاطبات بالشرع كما الرجال، وقد كن يحضرن مجالس الوعظ من وراء الرجال في زمنه ﷺ، أو يأتين فيعظهن في مجلسهن، وهذا معلوم مشهور في السنن.

ومقتضى الأمر أن العصر الأموي لن يختلف فيه الوعظ عما قبله، ولكني لم أجد نصاً صريحاً من الذهبي على قيام مجالس الوعظ النسائية. وإنما هناك إشارات قليلة تبين وجود هذا النوع من الوعظ.

فقد ذكر الذهبي في ترجمة عون بن عبد الله أنه كان يقص، قال: «فإذا فرغ، أمر جارية له أن تعظ»⁽¹⁹⁰⁾.

والشاهد هنا في وعظ الجارية، ولست بصدد بيان حكم هذه الواقعة.

وممن اشتهرت بالوعظ: أم الحسن البصري. واسمها: خيرة. وهي تروي عن أم سلمة زوج النبي ﷺ. وكانت أم الحسن تقص على النساء⁽¹⁹¹⁾.

ومن الوعظ المنفرد للنساء: وعظ الأزواج لأهلبيهم، وما روي أيضاً عن عمر بن عبد العزيز أنه كان يعظ بناته وامراته⁽¹⁹²⁾.

وقد اشتهر كثير من الوعاظ في هذا الجانب، ومنهم: الحسن البصري، وثابت البناني وأيوب السخيتاني، وعبد الواحد بن زيد، وغيرهم. وحتى عمر بن عبد العزيز يمكن ضمه إلى هؤلاء؛ فقد كان يخطب بالمنبر ويعظ الحضور من العامة، وربما اختص بالوعظ شخصاً من العامة.

وقد وردت روايات تدل على مجالس الوعظ للعامة، منها ما جاء عن عثمان بن عطاء عن أبيه، قال: «أوثق عملي في نفسي نشر العلم، وكان يجلس أبي مع المساكين، فيعلمهم، ويحدثهم»⁽¹⁸¹⁾.

وعن الأوزاعي قال: سمعت بلال بن سعد يقول في مواعظه: «يا أهل الخلود، يا أهل البقاء، إنكم لم تخلقوا للفناء، وإنما خلقتكم للخلود والأبد، ولكنكم تنقلون من دار إلى دار»⁽¹⁸²⁾.

ولما مات الوليد بن عبد الملك خطب عمر بن عبد العزيز الذي صلي عليه وتولي دفنه في الناس ووعظهم، قائلاً: «هذا الوليد بن عبد الملك يلقي ربه.. فاليوم ننزله غير موسد ولا ممد، قد خلف الأسلاب، وفارق الأحباب، وسكن التراب، وواجه الحساب، فقيروا إلى ما قدم، غنيا عما أخر»⁽¹⁸³⁾.

وفي هذا استفادة من الفرص والمواقف المناسبة لوعظ الناس.

وربما كان هناك من تكون وظيفته الوعظية مخصصة للعامة، كما جاء عن عمر بن عبد العزيز أنه كان يجلس إلى قاص العامة بعد الصلاة، ويرفع يديه إذا رفع»⁽¹⁸⁴⁾.

وفي هذا دلالة على عرف ومنهجية في الوعظ، حتى يقال: قاص العامة، ويفهم منه أن هناك قاص للخاصة. وهذا مما يحتاج إلى متابعة وبحث لمعرفة الوظائف الوعظية التي كانت معروفة ومشهورة.

ومما ينبه له هنا أن الوعظ أمر ديني لا يكون خفياً عن العامة، وإلا كان في ذلك داع للارتباك في حدوث مجاملات ونحو ذلك، وهو مما ينبغي تنزيه الدين عن التعريض له.

والتناجي في أمور الدين دون جماعة المسلمين سمة من سمات أهل البدع، ومن قول عمر بن عبد العزيز في ذلك: «إذا رأيت القوم يتناجون في دينهم بشيء دون العامة فاعلم أنهم على تأسيس ضلالة»⁽¹⁸⁵⁾.

ويمكن لنا أن نخرج وعظ الخاصة أنه باعتبار مراتب الوعظ والنصح، فمن يراد وعظه ونصحه بخاصة فلا يشهر به، وإنما يكون ذلك بانفراد، وإذا كان الأمر مما صار عاماً فيكون الوعظ عاماً.

ووجود واعظ للعامة لا يقتضي أن يتوقف القيام بوعظهم عليه وحده، ففي الغالب كان الواعظ لا يقتصر بوعظه على فئة محددة لا يتعداها لغيرها، ولكن الاشتهار بالعلبة هو الذي في ضوئه يطلق الوصف.

وهذا حصين بن القاسم الزوان يروي عن مجلس وعظ، فيقول: «كنا عند عبد الواحد بن زيد وهو يعظ، فناداه رجل من ناحية المسجد: كف عنا يا أبا عبيدة، فقد كشفت قناع قلبي. قال: فلم يلتفت عبد الواحد إلى ذلك ومر في الموعظة،

(181) سير أعلام النبلاء، الذهبي (142/6).

(182) حلية الأولياء، الأصبهاني (229/5).

(183) المجاهد، عمرو بن بحر، «البيان والنبين»، (بيروت، دار ومكتبة الهلال، 1423هـ)، (82/2).

(184) حلية الأولياء، الأصبهاني (271/5).

(185) الشيباني، أحمد بن حنبل، «الزهد»، (ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1420هـ)، (ص: 235).

(186) سير أعلام النبلاء، الذهبي (179/7).

(187) سيرة عمر بن عبد العزيز، ابن عبد الحكم (ص: 147).

(188) تاريخ دمشق ابن عساكر (45/28).

(189) حلية الأولياء، الأصبهاني (385/1).

(190) سير أعلام النبلاء، الذهبي (104 - 105).

(191) سير أعلام النبلاء، الذهبي (588/4).

(192) سيرة عمر بن عبد العزيز، ابن عبد الحكم (ص: 54، 151).

الخاتمة

بعد هذه الإطلالة السريعة على الوعظ في العصر الأموي يطيب لي تسجيل النتائج والتوصيات فيما يأتي:

أولاً: أهم النتائج

1. الوعظ هو التذكير بفعل الخير وترك الشر بأسلوب يرقق القلوب، ويشتمل على الترغيب والترهيب.
2. الوعظ من المقومات التربوية الأساسية في الإسلام، أشار إليها القرآن الكريم كثيراً واعتمدها النبي ﷺ في تربيته للأمة.
3. بعض العلماء عد الوعظ علماً مستقلاً بذاته له مقوماته ومحدداته المنهجية، وألف عدد من العلماء كتباً خاصة فيه.
4. يعبر العلماء عن النسبة إلى الوعظ بمصطلحين: الأول: مصطلح الوعظ نفسه، فيقولون: الوعظ وفلان الواعظ ويعظ، والثاني: مصطلح: القصص، فيقولون: فلان القاص، وكان يقص.
5. أكثر الوعاظ المترجم لهم في سير الذهبي في العصر الأموي يندرجون تحت مسمى أهل السنة، وهناك غيرهم من الفرق الأخرى، كالماتصوفة والشيعة والمرجئة والقدرية.
6. بعض الوعاظ كانوا متمحضين للوعظ وعندهم ضعف في التحقيق العلمي، والكثير منهم يجمعون بين الوعظ والتحقيق العلمي.
7. كثير من المذكورين في أهل السنة وفي المتصوفة ليس بينهم كبير فرق، بل إن بينهم أوصافاً مشتركة، في السلوك والعبادات. ولم أجد معياراً فاصلاً في التفريق بينهم إلا الشهرة والاستفاضة.
8. بعض المنسوبين للقدرية والمرجئة من الوعاظ، نسبتهم تلك غير مسلم بها بإطلاق.
9. تنوعت طرق الوعظ في العصر الأموي بين الوعظ الديني، والاجتماعي، والسياسي، والقيمي والأخلاقي.
10. كان المستهدفون بالوعظ متنوعون بحسب فئات المجتمع: ولاية وحكام وعامة ونساء.

ثانياً: التوصيات

1. يوصي بعمل بحث تابع لهذا البحث، بعنوان: التخصصات الوعظية في العصر الأموي، أو بصورة عامة.
2. دراسة ظاهرة الوعظ والوعاظ في الحواضر الإسلامية (بغداد - دمشق - مكة المكرمة) عبر التاريخ.

الدعم المالي

يؤكد الباحثون أن هذا العمل العلمي لم يحصل على أي دعم مالي من أي جهة حكومية أو خاصة، وأنه تم إعداده وتمويله ذاتياً.

الإفصاح والتصريحات

تضارب المصالح: ليس لدى المؤلفون أي مصالح مالية أو غير مالية ذات صلة للكشف عنها. المؤلفون يعلنون عن عدم وجود أي تضارب في المصالح.

الوصول المفتوح: هذه المقالة مرخصة بموجب ترخيص إسناد الإبداع التشاركي غير تجاري 4.0 الدولي (CC BY-NC 4.0)، الذي يسمح بالاستخدام والمشاركة والتعديل والتوزيع وإعادة الإنتاج بأي وسيلة أو تنسيق، طالما أنك تمنح الاعتماد المناسب للمؤلف (المؤلفين) الأصليين. والمصدر، قم بتوفير رابط لترخيص المشاع الإبداعي، ووضح ما إذا تم إجراء تغييرات. يتم تضمين الصور أو المواد الأخرى التابعة لجهات خارجية في هذه المقالة في ترخيص المشاع الإبداعي الخاص بالمقالة، إلا إذا تمت الإشارة إلى خلاف ذلك في جزء المواد. إذا لم يتم تضمين المادة في ترخيص المشاع الإبداعي الخاص بالمقال وكان الاستخدام المقصود غير مسموح به بموجب اللوائح القانونية أو يتجاوز الاستخدام المسموح به، فسوف تحتاج إلى الحصول على إذن مباشر من صاحب حقوق الطبع والنشر. لعرض نسخة من هذا الترخيص، قم بزيارة: <https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0>

قائمة المصادر والمراجع

- الأجري، محمد بن الحسين. أخبار أبي حفص عمر بن عبد العزيز رحمه الله وسيرته. تحقيق عبد الله عيلان. ط2. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1980م.
- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي. صفة الصفوة. تحقيق أحمد بن علي. القاهرة: دار الحديث، 2000م.
- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي. كتاب القصص والمذكرين. تحقيق محمد الصباغ. ط2. بيروت: المكتب الإسلامي، 1988م.
- ابن حنبل، عبد الله بن أحمد. السنة. تحقيق محمد القحطاني. ط1. الدمام: دار ابن القيم، 1406هـ.
- ابن خلدون (انظر: حاجي خليفة وغيره إذا لزم، أو رتب حسب المعطى). مجموع الفتاوى (انظر: ابن تيمية).
- ابن رجب الحنبلي، زين الدين عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي. جامع العلوم والحكم. تحقيق شعيب الأرنؤوط وإبراهيم باجس. ط7. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1997م.
- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم. مجموع الفتاوى. تحقيق عبد الرحمن بن قاسم. المدينة النبوية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1416هـ.
- ابن عساکر، علي بن الحسن. تاريخ دمشق. تحقيق عمرو العمري. بيروت: دار الفكر، 1415هـ.
- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري. المعارف. تحقيق ثروت عكاشة. ط2. القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، 1992م.
- ابن منظور، محمد بن مكرم. لسان العرب. ط3. بيروت: دار صادر، 1414هـ.
- ابن نقطة، أبو بكر محمد بن عبد الغني البغدادي الحنبلي. تكملة الإكمال. تحقيق محمد صالح عبد العزيز. ط2. جامعة أم القرى، 1418هـ.
- الأصبهاني، أحمد بن عبد الله. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. دار السعادة، 1974م.
- الألباني، محمد ناصر الدين. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها. ط1. الرياض: مكتبة المعارف، 1995م.
- الألباني، محمد ناصر الدين. صحيح الجامع الصغير وزيادته. بيروت: المكتب الإسلامي.
- الأندلسي، أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه. العقد الفريد. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية، 1404هـ.
- الأندلسي، محمد بن يوسف. البحر المحيط في التفسير. تحقيق صديقي جميل. بيروت: دار الفكر، 1420هـ.
- البصري، محمد بن سعد. الطبقات الكبرى. تحقيق محمد عطا. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية، 1410هـ.
- البغدادي، عبد القاهر بن طاهر. الفرق بين الفرق. ط2. بيروت: دار الآفاق الجديدة، 1977م.
- البيهقي، أحمد بن الحسين. الزهد الكبير. تحقيق عامر حيدر. بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، 1987م.
- الجاحظ، عمرو بن بحر. البيان والتبيين. بيروت: دار ومكتبة الهلال، 1423هـ.
- حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني العثماني. سلم الوصول إلى طبقات الفحول. تحقيق محمود عبد القادر الأرنؤوط. إستانبول: مكتبة إرسيسكا، 2010م.
- الدينوري، أحمد بن مروان. المجالسة وجواهر العلم. تحقيق مشهور بن حسن آل سلمان. بيروت: دار ابن حزم، 1419هـ.
- الذهبي، محمد بن أحمد. تاريخ الإسلام. تحقيق بشار معروف. ط1. دار الغرب الإسلامي، 2003م.

- Al-Andalusī, Abū 'Umar, Aḥmad ibn Muḥammad ibn 'Abd Rabbih. "Al-'Iqd al-farīd." 1st ed. Beirut: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyyah, 1404 AH.
- Al-Andalusī, Muḥammad ibn Yūsuf. "Al-Baḥr al-muḥīṭ fī al-taḥsīn." Investigation: Sidqī Jamil. Beirut: Dar Al-Fikr, 1420 AH.
- Al-Aṣḥabānī, Aḥmad ibn 'Abd Allāh. "Ḥilyat al-awliyā' wa-ṭab aqāt al-aṣfiyā'." Dar Al-Saada, 1974 AD.
- Al-'Asqalānī, Aḥmad ibn 'Alī ibn Ḥajar. "Al-Durar alkāmin fī a'yān al-mī'ah al-thāminah." 2nd ed. Hyderabad, India: Ottoman Encyclopedia Council, 1972.
- Al-'Asqalānī, Aḥmad ibn 'Alī ibn Ḥajar. "Al-Iṣābah fī Tamyīz al-ṣaḥābah." Investigation: Adel Abdel Mawgoud, in collaboration. 1st ed. Beirut: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyyah, 1415 AH.
- Al-'Asqalānī, Aḥmad ibn 'Alī ibn Ḥajar. "Raf' al-'aṣr 'an Quḍāh Miṣr." Investigation: Ali Omar. 1st ed. Cairo: Al-Khanji Library, 1998.
- Al-Baghdādī, 'Abd al-Qāhir ibn Ṭāhir. "Al-Firaq bayna al-firaq." 2nd ed. Beirut: Dar Al-Afak Al-Jadida, 1977.
- Al-Baṣrī, Muḥammad ibn Sa'd. "Al-Ṭabaqāt al-Kubrā." Investigation: Muhammad Atta. 1st ed. Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, 1410 AH.
- Al-Bayhaqī, Aḥmad ibn al-Ḥusayn. "Al-Zuhd al-kabīr." Investigation: Amer Haidar. Beirut: Cultural Books Foundation, 1987.
- Al-Dīnawarī, Aḥmad ibn Marwān (al-mutawaffā : 333h). "Al-Mu jālasah wa-jawāhir al-'Ilm." Investigation: Mashhour bin Hassan Al Salman. Beirut: Dar Ibn Hazm, 1419 AH.
- Al-Dhahabī, Muḥammad ibn Aḥmad. "Siyar A'lām al-nubalā'." Investigation: A group of investigators. 3rd ed. Al-Risala Foundation, 1985 AD.
- Al-Dhahabī, Muḥammad ibn Aḥmad. "Tārīkh al-Islām." Taḥqīq : Bashshār Ma'rūf. 1st ed. Dar Al-Gharb Al-Islami, 2003.
- Al-'Anzī, 'Azīz. "Al-Baṣīrah fī al-Da'wah ilā Allāh." 1st ed. Abu Dhabi: Dar Al-Imam Malik, 2005.
- Al-'Irāqī, 'Abd al-Raḥīm ibn al-Ḥusayn. "Al-Bā'ith alā al-khalāṣ min ḥawādith al-Qaṣṣās." Investigation: Muhammad Al-Sab bagh. 1st ed. Dar Al-Warraq, 2001.
- Al-Jāhiz, 'Amr ibn Ḥijr. "Al-Bayān wa-al-tabyīn." Beirut: Dar and Library of Al-Hilal, 1423 AH.
- Al-Kalābādhī, Muḥammad ibn Abī Ishāq. "Al-Ta'arruf li-madhab ahl al-taṣawwuf." Beirut: Scientific Books House.
- Al-Kattānī, Muḥammad 'Abd al-Ḥayy. "Al-trāyib al-Idāriyah." Investigation: Abdullah Al-Khalidi. Second Edition. Beirut: Dar Al-Arqam.
- Al-Maqdisī, 'Abd Allāh ibn Aḥmad ibn Qudāmāh (al-mutawaffā : 620h). "Lum'ah al-i'tiqād." 2nd ed. Riyadh: Ministry of Islamic Affairs, Endowments, Call and Guidance, 2000.
- Al-Māwardī, 'Alī ibn Muḥammad. "Al-Aḥkām al-sultāniyah." Cairo: Dar Al-Hadith.
- Al-Miṣrī, 'Abd Allāh ibn 'Abd al-ḥukm. "Sīrat 'Umar ibn 'Abd al-'Azīz alā mā rawāh al-Imām Mālik ibn Anas wa-aṣḥābuhu." Investigation: Ahmed Obaid. 6th ed. Beirut: Alam Al-Kutub, 1404 AH.
- Al-Mizzī, Yūsuf ibn 'Abd al-Raḥmān. "Tahdhīb al-kamāl, fī Asmā' al-rijāl." Investigation: Bashar Marouf. 1st ed. Beirut: Al-Risala Foundation, 1980.

- الذهبي، محمد بن أحمد. سير أعلام النبلاء. تحقيق مجموعة من المحققين. ط3. مؤسسة الرسالة، 1985م.
- الزبيدي، محمد بن عبد الرزاق. تاج العروس من جواهر القاموس. تحقيق مجموعة من المحققين. دار الهداية.
- الزركلي، خير الدين بن محمود. الأعلام. ط15. بيروت: دار العلم للملايين، 2002م.
- السبكي، عبد الوهاب بن تقي الدين. طبقات الشافعية الكبرى. تحقيق محمود الطناحي وآخرين. ط2. دار هجر، 1413هـ.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. الإكليل في استنباط التنزيل. تحقيق سيف الدين الكاتب. بيروت: دار الكتب العلمية، 1981م.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. تاريخ الخلفاء. تحقيق حمدي الدمرداش. ط1. مكتبة نزار الباز، 1425هـ.
- الشنقيطي، محمد الأمين. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1415هـ.
- الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم. الملل والنحل. تحقيق محمد سيد. ط2. مؤسسة الحلبي.
- الشوكاني، محمد بن علي. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع. بيروت: دار المعرفة.
- الشنيباني، أحمد بن حنبل. الزهد. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية، 1420هـ.
- الضبي، أحمد بن يحيى بن عميرة. بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس. القاهرة: دار الكاتب العربي، 1967م.
- ضيف، شوقي. تاريخ الأدب العربي. ط1. القاهرة: دار المعارف، 1960-1995م.
- الطبراني، سليمان بن أحمد. المعجم الكبير. تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي. ط2. القاهرة: مكتبة ابن تيمية، 1994م.
- الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الرسل والملوك. ط2. بيروت: دار التراث، 1387هـ.
- طنطاوي، محمد سيد. التفسير الوسيط للقرآن الكريم. ط1. القاهرة: دار تحفة مصر، 1988م.
- العثيمين، محمد بن صالح. لقاء الباب المفتوح (الدرس 32، ص 10، بترتيب الشاملة آثياً).
- العراقي، عبد الرحيم بن الحسين. الباعث على الخلاص من حوادث القصاص. تحقيق محمد الصباغ. ط1. دار الوراق، 2001م.
- العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر. الإصابة في تمييز الصحابة. تحقيق عادل عبد الموجود وآخرين. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية، 1415هـ.
- العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة. ط2. حيدر آباد، الهند: مجلس دائرة المعارف العثمانية، 1972م.
- العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر. رفع الإصر عن قضاة مصر. تحقيق علي عمر. ط1. القاهرة: مكتبة الخانجي، 1998م.
- العزني، عزيز. البصيرة في الدعوة إلى الله. ط1. أبو ظبي: دار الإمام مالك، 2005م.
- القحطاني، سعيد. الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى. ط1. الرياض: وزارة الشؤون الإسلامية، 1423هـ.
- القرشي، محمد بن محمد بن الأخوة. معالم القرية في طلب الحسبة. كمبودج، بريطانيا: دار الفنون.
- الكتاني، محمد عبد الحي. التراتيب الإدارية. تحقيق عبد الله الخالدي. ط2. بيروت: دار الأرقم.
- الكلاباذي، محمد بن أبي إسحاق. التعرف لمذهب أهل التصوف. بيروت: دار الكتب العلمية.
- الماوردي، علي بن محمد. الأحكام السلطانية. القاهرة: دار الحديث.
- المزي، يوسف بن عبد الرحمن. تهذيب الكمال في أسماء الرجال. تحقيق بشار معروف. ط1. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1980م.
- مسلم، أبو الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري. صحيح مسلم. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. ط1. القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، 1955م.
- المصري، عبد الله بن عبد الحكم. سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه. تحقيق أحمد عبيد. ط6. بيروت: عالم الكتب، 1404هـ.
- المقدسي، عبد الله بن أحمد بن قدامة. لمعة الاعتقاد. ط2. الرياض: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، 2000م.
- المنائي، زين الدين محمد عبد الرؤوف. فيض القدير شرح الجامع الصغير. ط1. مصر: المكتبة التجارية الكبرى، 1356هـ.

List of Sources and References

- Al'ājry, Muḥammad ibn al-Ḥusayn. "Akhbār Abī Ḥafṣ 'Umar ibn 'Abd al-'Azīz raḥimahu Allāh wa-sīratuhu." Investigation: Abdullah Aylan. 2nd ed. Beirut: Al-Risala Foundation, 1980.

- Al-Ṭabarī, Muḥammad ibn Jarīr. "Tārīkh al-Rusul wa-al-mulūk." 2nd ed. Beirut: Dar Al-Turath, 1387 AH.
- Al-Ziriklī, Khayr al-Dīn ibn Maḥmūd. "Al-A'lām." 15th ed. Beirut: Dar Al-Ilm Lil-Malayin, 2002.
- Alzzabydy, Muḥammad ibn 'Abd al-Razzāq. "Tāj al-'arūs min Jawāhir al-Qāmūs." Investigator: A group of investigators. Dar Al-Hidaya.
- Ibn 'Asākīr, 'Alī ibn al-Ḥasan. "Tārīkh Dimashq." Investigation: Amr Al-Amrawi. Beirut: Dar Al-Fikr, 1415 AH.
- Ibn Ḥanbal, 'Abd Allāh ibn Aḥmad. "Al-Sunnah." Investigation: Muhammad Al-Qahtani. 1st ed. Dammam: Dar Ibn Al-Qayyim, 1406 AH.
- Ibn al-Jawzī, 'Abd al-Raḥmān ibn 'Alī. "Kitāb al-Qaṣṣāṣ wālmadh kryn." Investigation: Muhammad Al-Sabbagh. 2nd ed. Beirut: Islamic Office, 1988 AD.
- Ibn al-Jawzī, 'Abd al-Raḥmān ibn 'Alī. "Ṣifat al-Ṣafwah." Investigation: Ahmed bin Ali. Cairo: Dar Al-Hadith, 2000 AD.
- Ibn manzūr, Muḥammad ibn Mukarram. "Lisān al-'Arab." 3rd ed. Beirut: Dar Sader, 1414 AH.
- Ibn Taymīyah, Aḥmad ibn 'Abd al-Ḥalīm (al-mutawaffā : 728h). "Majmū' al-Fatāwā." Investigation: Abd al-Rahman bin Qasim. Madinah: King Fahd Complex for the Printing of the Holy Qur'an, 1416 AH.
- Ṭanṭawī, Muḥammad Sayyid. "Al-Tafsīr al-Wasīṭ lil-Qur'ān al-Karīm." 1st ed. Cairo: Dar Nahdet Misr, 1988.
- Al-Albānī, Muḥammad Nāṣir al-Dīn. «Ṣaḥīḥ al-Jāmi' al-Ṣaghīr wa-ziyāyadatuḥu." Beirut: Islamic Office.
- Al-Qawl bima lam yasbiq biḥ qawla, dirasat fiqhiat tasiliat tatbiqi atin, limardi bn mushawah aleanzii, alhadarat lilmashr waltawzi ei, altabeati: althaaniati, 1443 hi - 2022 mi.
- Al-Qaḥṭānī, Sa'īd. "Al-Ḥikmah fī al-Da'wah ilā Allāh ta'ālā." 1st ed. Riyadh: Ministry of Islamic Affairs, 1423 AH.
- Al-Qurashī, Muḥammad ibn Muḥammad ibn al-Ukhūwah (al-mutawaffā : 729h). "Ma'ālīm al-Qurbah fī Ṭilib al-ḥisbah." Cambridge, UK: House of Arts.
- Al-Shawkānī, Muḥammad ibn 'Alī. "Al-Badr al-ṭālī' bi-maḥāsin min ba'da al-qarn al-sābi'." Beirut: Dar Al-Ma'rifa.
- Al-Shaybānī, Aḥmad ibn Ḥanbal. "Al-Zuhd." 1st ed. Beirut: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyyah, 1420 AH.
- Al-Shinqīṭī, Muḥammad al-Amīn. "Aḍwā' al-Bayān fī Idāḥ al-Qur'ān bi-al-Qur'ān." Beirut: Dar Al-Fikr for Printing, Publishing and Distribution, 1415 AH.
- Al-Subkī, 'Abd al-Waḥḥāb ibn Taqī al-Dīn. "Ṭabaqāt al-Shāfi'īyah al-Kubrā." Investigation: Mahmoud Al-Tanahi, in collaboration. 2nd ed. Dar Hijr, 1413 AH.
- Al-Suyūṭī, 'Abd al-Raḥmān ibn Abī Bakr. "Al-Iklīl fī istinbāt al-tanzīl." Investigation: Saif al-Din al-Katib. Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, 1981.
- Al-Suyūṭī, 'Abd al-Raḥmān ibn Abī Bakr. "Tārīkh al-khulafā'." Investigation: Hamdi Al-Damardash. 1st ed. Nizar Al-Baz Library, 1425 AH.